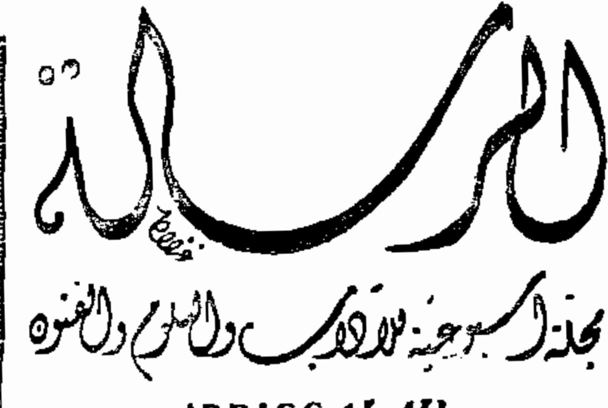
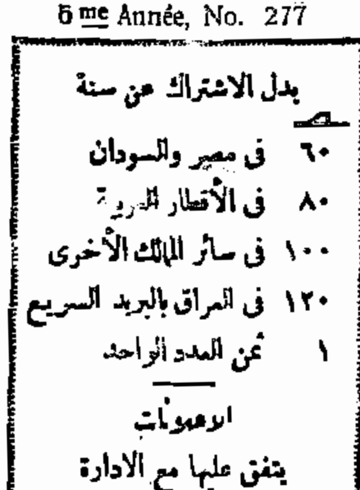
5 me Année, No. 277 — Lundi - 24 - 10 - 1938

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العــــدد ٢٧٧ « القاهرة فى أول رمضان سنة ١٣٥٧ — ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــــرس

العامية والفصحى

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

أنا متهم بعدائى للغة العامية ، ويا ما أكثر من فى الحبس من مظلومين — كما يقول عامتنا فى أمثالهم — ولست أريد الآن أن أدافع عن نفسى وأبرئها من شيء ، فان لى الحق فى المعاداة والمصافاة كغيرى من الناس تبعاً لرأيى وهواى، ولكنما أريد الآن أن أضع أموراً فى نصابها على قدر ما يتيسر لى ذلك

الأمر فى اللغة العامية أن نطاق الأداء بها محدود . وهي فى هذا النطاق وافية بالحاجة وكافية جداً للأغراض التى تطلب بها ولكنها تخذلك إذا أردت أن تتجاوز هذا النطاق . أي أنها تصلح للحديث العادى والحوار فى المسائل اليومية، والعبارة بها عن الأغراض المألوفة بين الناس عامة ، فاذا أردت أن ترتقى بها عن هذه الطبقة وأن تتناول بها حديث العلم أو الأدب أو الفلسفة أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى قصرت بك وعجزت عن الوفاء بهذه المطالب فتحتاج إلى لغة أخرى تستطيع أن تواتيك وتساعفك — لغة أخرى تكون أوفى وأزخر وأوفر مادة وأكثر عناصر، ولا لغة هناك لنا غير اللغة العربية الفصحى التى لا تعد العامية إلا لهجة مشتقة منها . وهذا شأن كل لغة عامية فى الدنيا . ومن

عامة تعجز عن أداء ما هو أكثر من المطالب المادية . وحدود كل لغة عامية هي حدود العامة أنفسهم، ونطاقها هو نطاقهم، فاذا احتجت إلى ما يجاوز نطاق العامة ويرتفع عن طبقتهم فانه لا يسعك إلا أن تلجأ إلى لغة أوسع من لغتهم وأغنى وأقدر . قد يقال ولكن في الدنيا عاميات ارتقت إلى مصاف اللغات الفصيحة كالايطالية واليونانية الحديثتين. وهذا صحيح غير منكور . وفي وسع كل عامية أن تصبح هي لغة الكتابة والأدب والعلم والفلسفة وما إلى ذلك إذا وسعتها وضبطتها وأجريت الأمر فيها مجرى اللغات الصحيحة ذات الأحكام والضوابط، وأنجيتها من الفوضى التي تلازم العاميات في العادة . وهذا هو الذي حدث في اللغة الايطالية الحديثة واللغة اليونانية الحديثة اللتين حلتا محل اللاتينية والاغريقية القديمتين . ومؤدى هذا أن العامية عندنا في صورها الحالية لا تصلح للأداء ولا لأن تتخذ لغة كتابة وأدب وعلم وفلسفة وغير ذلك لأنها فوضى وتحتاج إلى ضبط وإصلاح وتوسيع وإغناء . وقد قلت « في صورها الحالية » ولم أقل « في صورتها الحالية » وأنا أعني ما أقول ، فان عامية مصر غير عامية الحجاز أو العراق أو الشام أو تونس والمغرب على العموم أو السودان ، ولكل بلد من هذه البلدان عاميته الخاصة، بل نحن في مصر لنا أكثر من عامية واحدة، فعامية القاهرة غير عامية الصعيد وغير عامية الاسكندرية أو الأقاليم الشمالية ، فأي هذه العاميات كلها تريد أن تكون لغتك ؟ ولكل منها خصائصها وعناصرها التي اقتضت طبيعة الحياة الخاصة بها أن تتألف منها . فعامية مصر أو عاميات مصر — فانها كثر — فيها عناصر من العربية والفرعونية وعناصر من اللغات الأوربية بحكم موقع البلاد الجغرافي، وعامية العراق فيها عناصر من العربية والتركية والفارسية والهندية وغير ذلك، وهكذا

والعامية لا ثبات لها ولا استقرار . والملاحظ — والطبيعي أيضاً — أنها ترقى مع انتشار التعليم وتقترب شيئاً فشيئاً من اللغة العربية . يدل على ذلك — إن كان الأمر يحتاج إلى دليل — أن حوار المتعلمين لا يكاد ينقصه من اللغة الفصحى إلا ضبط أواخر الكلمات أي بناء الكلام على معاني النحو ؛ والعربية على عكس العامية أداة ثابتة على كثرة ما يطرأ عليها من التطور، وهي تتسع وتلين وتزداد صقلا على الأيام على خلاف العامية التي لا تثبت ولا تستقر بل تندمج في العربية بعد أن اشتقت منها وانفصلت عنها

وهنا أنتقل إلى نقطة أخرى أود أن تتقرر في الأذهان؛ وتلك أن العامية ليست لغة أجنبية وإنما هي لغة عربية محرفة. فهي بنت العربية وصلتها بها وثيقة كما هو الحال في كل عامية بالقياس إلى اللغة الصحيحة . وكثيرون منا ينظرون إليها غير هذه النظرة ، فاذا كتبوا أو خطبوا اتقوها جداً وخافوا منها وتحاموها وتنزهوا من كل لفظ مستعمل فيها ، وبهذا يباعدون مباعدة شديدة غير نافعة بين الكاتب والقارئ، وهذا خطأ فان العامية كما قلت بنت العربية وفرع منها ، وإذا ما نظر الانسان إلى العامية هذه النظرة ألفى فيها كنوزاً ونفائس لا تقوّم، وأغناه ما يجد فيها عن كثير مما يلتمسه ولا يهتدي إليه ، أو يهتدي إليه ولكنه لا يكون في الأكثر والأعم إلا نابياً ثقيلا مستكرهاً في السماع أو منفراً من العربية نفسها . وقد كنت كغيري أتقي كل لفظ مما يجري على ألسنة العامة لتوهمي أن ما يجري على ألسنتهم لا يمكن أن يكون عربياً صحيحاً ، ولكن مطالب التعبير والأداء أحوجتني إلى البحث عن مفردات كثيرة فالتمستها في كتب الأدب ومعاجم اللغة ، فأما المعاجم فقليلة الغناء في هذا الباب وهي تجمع الحي والميت من الألفاظ ولا تفرق بين هذا وذاك . وأما كتب الأدب فان اللفظ المستعمل فيها يكون لفظاً حياً استطاع أن يبقى ويدور على الألسنة والأقلام ، والألفاظ كالناس وككل مخلوق ، تحيا وتموت ، والصالح منها هو وحده الذي يبقى ، أما غير الصالح فينتهي به الأمر إلى أن يهجره الناس ويتركوه مدفوناً . ولا خير في محاولة إحياء لفظ مات ونشره بعد أن طواه الزمن، وإنما الخير أن تتركه حيث هو وأن تلتمس سواه من الألفاظ التي قدرت على البقاء والمكافحة والنضال

نظرت هذه النظرة إلى لغتنا العامية فعثرت بلا عناء أو مشقة في بحث على مئات من الألفاظ العامية التي نتوهم أنها غير عربية أو لم يستعملها العرب ، ونتحاماها لذلك ، ولو استعملناها لجاء الكلام أوضح وأبين، ولكان فهمه أسهل ومطلبه أيسر . وبعض هذه الألفاظ عربي أصيل ، والبعض مولد أو دخيل ولكنه

مما استعمله العرب وأجروه مجرى ألفاظهم الأصلية . وكل هذه الألفاظ تمتاز بأنها استطاعت أن تعيش وأن تجرى على ألسنة الأمم والشعوب، آلافاً من السنين الطويلة، فادة الحياة فيها قوية ولا معنى لهجرها وإهمالها لا لسبب سوى أن العامة يستعملونها كأن كل ما يستعمله العامة يجب أن يحتقر ويرمى ويطلب غيره ، وهى سخافة ظاهرة

وقد علمت أن الدكتور احمد بك عيسى قدم إلى المجمع اللغوى رسالة فى الألفاظ العامية وأصولها تشتمل على ما قيل على ألفى كلمة ، ولاأعتقد أن فى هذا الرقم أدنى مبالغة فانى أنا وحدى بلا بحث يستحق الذكر وبمجرد تقييد ما يعرض لى من ذلك فى مناسباته العارضة وقعت على أكثر من ألف كلمة ، وقد نشرت فى الرسالة طائفة منها، فأحر بالباحث الذى يعنى بدرس الموضوع وتعقب الألفاظ أن يهتدى إلى أضعاف أضعاف ذلك . والذى أرجوه أحد أمرين، أن يطبع المجمع هذه الرسالة النفيسة: أو إذا كان ثم مانع معقول — ولست أرى أى مانع — فليطبعها الدكتور عيسى بك ولينشرها فان الفائدة منها جزيلة ، إذ كانت هذه الألفاظ السهلة المعروفة التى يفهمها كل انسان متعلما كان أو غير متعلم تغنينا عن ألفاظ مهجورة ميتة نضطر إلى الالتجاء إليها والاستعانة بها على التعبير فلا يفهمها أحد إلا بالشرح والتفسير أو الرجوع إلى المعاجم ، وهذا كله عناء باطل لا يجوز تكلفه مع وجود الألفاظ المأنوسة

إن اللغة — كل لغة — ليست أكثر من أداة للإفهام أى لنقل المعنى أو الصورة أو الاحساس أو الخالجة على العموم من ذهن إلى ذهن ونفس إلى نفس . واللغة — كل لغة — بطبيعتها أداة ناقصة ووسيلة غير وافية ، وهى فى الحقيقة أشبه باشارات الخرس التى تشير إلى المراد ولا تبين عنه . وكل من عانى الكتابة بأية لغة يعرف ذلك ويحسه ويستطيع أن يشهد به . وما أكثر ما نعجز عن التعبير عنه فنتركه إلى سواه مما يؤاتينا عليه البيان ، ومتى كان هذا كذلك فان من الشطط أن نزيد الأمر صعوبة بالإغراب والحذلقة بترك السهل إلى المهجور ، والمأنوس إلى الحوشى ، أى بجعل مهمة الافهام أشق على الكاتب والقارئ معا ، وما دامت اللغة العامية مشتقة من العربية وفرعا من أصلها فان من الحق أن نترك ما فيها من الصحيح وأن نروح نبحث عن غيره لنعبر به

وفى العامية فضلا عن ذلك تعابير لا سبيل إليها فى اللغة العربية على ما نعلم ، مثال ذلك هذا البيت العامى :

« يا بت أنا بدى أبوسك بس أبوســـك
والطرب وأحظى بكؤوسك رق شـــوية »

هذان البيتان العاميان كل ألفاظهما عربية صحيحة — البت هى البنت ولو نطقتها بنت لما تغير الوزن . وبدى من قولك لا بد لى أو من قولهم بودى ، وأبوسك كلمة عربية صحيحة لا تحريف فيها ولا تصحيف ولا شىء غير ذلك والفعل باس يبوس بوسا وهو متعدى خير من قبل يقبل . وأطرب وأحظى والكؤوس ورق كلها أيضا صحيحة . بقيت شوية وبس ، فأما شوية فتصغير شىء ، وأما بس فلا مثيل لها ولا غناء عنها بغيرها فى اللغة العربية . وقول الشاعر العامى أو الشعبى « بس أبوسك » تعبير لا يقابله مثله فى العربية، وقد حاولت مراراً أن أجد بديلا منه فلم أوفق . فاذا كان غيرى يستطيع أن يهتدى إلى بديل منه فى اللغة الفصحى فليفعل وليحتقب شكرنا . أمثال هذا التركيب لا أرى أى مانع من إدخاله فى لغتنا العربية الفصيحة والانتفاع به فيها وإغنائها بذلك فانه تعبير ينقصنا فملا وإن كنا لا نعدم منه بديلا غير سائغ أو مقبول . ومن هذا القبيل كلمة « بق » وكثيرون يظنونها من الفعل العربى « بق يبق » والحقيقة أنها فرعونية الأصل ولا معنى لها، وإنما هى كلمة يستعان بها على التهكم التفكير مثل كلمة « ألور » فى الفرنسية

وأخلص موقنى من اللغة العامية ورأيى فيها فأقول إنها فرع من هذه الشجرة العظيمة التى نمت على الأيام وأصابها الركود الشديد عصورا غير قصيرة وأعنى بها اللغة العربية . ولكنها — أى العامية بحالتها الراهنة لا تصلح أن تكون أداة لأكثر من التخاطب فى الشئون العاديه فلا يجوز اتخاذها أداة للكتابة

وما يطلب بها من الأغراض، وهي فضلا عن قصورها تختلف باختلاف الأقطار بل الأقاليم المتقاربة، فلهذا لا تصلح أن تكون لغة عامة، ومن السخافة أن تتخذ لغة قاصرة غير وافية لا يفهمها إلا عدد محدود وأن نهجر لغة عامة يفهمها كل أحد في كل بلد. ومن السخافة أن نقتل لغتنا العربية التي خلف لنا أصحابها كل هذه الكنوز في الأدب والعلوم والفلسفة والتاريخ وغير ذلك من أجل لغة لا ماضي لها ولا حاضر أيضا، لأنها غير ثابتة وتحولها دائم مع ارتقاء التعليم وانتشاره، ولا مستقبل لها كذلك إلا الاندماج في اللغة العربية الفصحي بفضل تقدم التعليم وانتشاره كذلك. ولكن هذه العامية التي لا تصلح أن تتخذ أداة الكتابة عربية الأصل وإن كان فيها كثير من الدخيل من لغات أخرى بحكم اتصال الشعوب بعضها ببعض وأخذ بعضها عن بعض، ولهذا يحسن الانتفاع بما فيها من العربي الصحيح وإن كان عرفاً قليلا. ويجب لهذا الغرض أن نعني بإحصاء الألفاظ العربية في العامية وأن نردها إلى أصلها إذا احتاج الأمر إلى ذلك وأن نستعملها ونستغني بذلك عن البحث المقيم عن ألفاظ أخرى بدلا منها فيما مات من ألفاظ اللغة العربية وعجز عن البقاء. وفي العامية فضلا عن ذلك تعابير مثلها غير موجود في العربية، أو موجود ولكنه غير سائغ لا يقبله الذوق العام، فهذه يحسن اتخاذها أيضاً وإغناء العربية بها فانها بذلك تتسع وتلين وتكتسب المرونة اللازمة. فيحس ابن اللغة وهو يستعملها أنها أداة حية نابضة لا جامدة ناشفة.

وأظن أني بعد هذا لا أحتاج أن أقول إني لست عدواً للعامية أو سواها؛ وقد يساعد على نفي هذا الوهم أن أذكر أني استعنت بها في الحوار في بعض ما كتبت من الروايات أو القصص بالقدر اللازم ليس إلا — استعملتها في هذا النطاق المحدود في روايتين على الخصوص رواية ابراهيم الكاتب ورواية تمثيلية اسمها «غريزة المرأة أو حكم الطاعة» ولكني التزمت حدوداً معينة لم أتجاوزها. ولا يحسب أحد أني أريد الاعلان عن هاتين الروايتين فقد نفدتا من زمان طويل.

ابرهيم عبد القادر المازني

في سبيل الإصلاح

المشكلة الكبرى
في حياتنا الاجتماعية
للأستاذ علي الطنطاوي

«أعد الأستاذ هذا البحث ليحاضر به الناس في ناد من أندية دمشق الأدبية، ولكن مرض الكاتب ولبثه أربعين يوماً في المستشفى، ثم اضطراره إلى السفر العاجل ليتسلم عمله في مدرسة بعقوبة (العراق) حال دون إلقائه»

صورة المشكلة

آلاف مؤلفة من الشبان يبيتون مسهدين ينتظرون أزواجهم اللاتي خلقهن الله لهم. وآلاف مؤلفة من الشابات يبتن الليل مؤرقات ينتظرن أزواجهن الذين برأهم الله لهن والدراري تطل من شرفة الغيب ترقب تعارف أبويها، لتأخذ باذن الله، طريقها إلى عالم الوجود، فيكون منها عباد لله صالحون، وجنود للوطن مخلصون، وأنصار للحق ثابتون

ثم إذا قدر الله وكان زواج، كان الزواج (أكثر ما يكون) همًّا ونكداً، وخلافاً مستمراً، وآض البيت من بعده جحيماً محرقاً، وسجناً مظلماً، ونشأ الأولاد على غير تهذيب، ومن غير دين ولا أخلاق ...

هذه هي صورة المشكلة: انتظار أليم يسلم إلى الجنون أو إلى الفسوق أو إلى المرض، ونقص في الأولاد، وضعف في الأمة، وخراب البيوت، وضياع للأسر، وفقد للسعادة ...

سبيل العلاج

هذه هي صورة المشكلة، فما هي أسبابها؟ وما نتائجها؟ وما علاجها؟ بل وما نفع الكتابة فيها؟

لقد كُتب فيها وكُتب (حتى لو أن محصياً أحصى المكتوب فيها لجاء معه كتاب ضخم) فلم يُغن المكتوب شيئاً، ذلك أن المشكلة تحتاج إلى حل عملي يقوم به الآباء، لا إلى نظريات وفلسفات يدلي بها الكتاب والأدباء، من أجل ذلك يحوت في

هذا البحث نحو العمل فلم أتعمق ولم أتفلسف ! ومن أجل ذلك ضربت من الواقع أمثلة ، وأخذت من الحياة شواهد وصوراً ... على أنها لا تغنى الباحث ، ولا تجدى الشواهد ولا الصور ، ولا المقترحات ولا الآراء ، ما لم يحققها عقلاء الآباء ، أو من لهم فى الأمة أمر أو نهى ، من أرباب الحكم وأصحاب السلطان !

موانع الزواج

لو سألت أكثر العزاب من الشبان : « ما منعكم من الزواج ؟ » لكان جواب الأكثرين إن لم أقل جوابهم أجمعين : « المهر ، وما يتصل بالمهر من تكاليف وبلايا » ، ولست أذهب بالقارئ إلى بعيد ، بل أضرب له المثل من نفسى ...

أنا أريد الزواج ، وأنا امرؤ فى رأسه أشياء وليس فى كيسه شىء ... أما الذى فى رأسى ، فقد أفنيت فى تحصيله شبابى ، وبيضت فى طلبه ليالىّ وسوّدت نُهُرى ، وخدعنى عن حقيقته معلمىّ فحسبته أثمن شىء فى الوجود ، وصدقت أن العلم خير من المال ... فرأيت من بعد أن المال خير من كل شىء ... وأما كيسى فما فيه وفر ، ولكن فيه مرتباً يكفينى ويكفى بحمد الله أربع زوجات معى ، لو أن الزوجة بقيت إلى اليوم شريكة الحياة وربة البيت ، تطلب حياة هنيئة وزوجاً صالحاً ، بيد أن هذا كله قد ذهب ... وصارت الزوجة (يا أسفى !) متاعاً يشرى ، ولا بد للمتاع من ثمن ، فاذا أخذ الأب الثمن لم يبال بعده شيئاً ، ومتى كان يبالى التاجر إذا استوفى الثمن بأخلاق الشارى أو سيرته فى أهله ؟ وثمن الزوجة (أقل ما يكون) خمسون أو مائة (ليرة) ذهبية ، فتصور يا صديق القارئ متى تجتمع لرجل مثلى مكساب متلاف لا يستطيع أن يمسك شيئاً ، أو لا يفضل عن نفقته شىء؟ وليست هذه المصيبة كلها . إن بعدها نفقات العقد (الكتاب) وقبل العقد خاتم الخطبة ، وما يكون إلا من الذهب ، و (الشبكة) وما يصلح لها إلا حلية لها قيمة ... وبعد العقد الهدايا واللُّطَف يحملها إلى دار (الزوجة العتيدة) كلما زارها ، ولا بد له من أن يزورها ؛ ثم تأتى بلايا العرس ، وما أدراك ما بلايا العرس : كسوة أهله وأقربائه ممن تجب عليه نفقتهم (وكسوة النساء أقبح التبذير ، لأنهن يشترين قماشاً لا يدفئ ولا يستر ، ويدفعن ثمنه غالياً ، ثم إذا مرت شهور بطل طرازه (مودته) فأصبح لا يصلح لشىء . . . وبعد الكسوة نفقات حفلة الزفاف . ثم إذا دخل على زوجته ، وانفرد بها ، لا تكلمه حتى يدفع إليها (ثمن شعرها) وهى جملة من المال لا تقل عن (بضع ليرات ذهبية) ولا حد لزيادتها ، وما أدرى والله كيف تنزل الفتاة للحلاق عن شعرها يقصه ويلقيه على الأرض ، ثم تطلب (ثمنه) من زوجها ؟

ثم إذا أصبح أعطاها (وجوباً) عطية أكبر من (ثمن الشعر) هى (الصُّبْحة) ، فاذا زال النهار أهدى إليها هدية ، لا بدّ أن يكون فيها إزار للحمام ثمين وقد يكون منسوجاً بخيوط الفضة ، ومناديل (مناشف) الخ . . . ثم تأتى نفقات (السبعة الأيام) يقيم فيها الأقارب والأهلون فى داره ، تولم لهم كل يوم الولائم ، ويطرفون بأنواع الطرف ، فاذا انتهت دعوا جميعاً إلى الحمام ، وقد قلّ ذلك فى هذه الأيام منذ كثرت الحمامات فى الدور ، وأهملت الحمامات العامة أو كادت ، ثم يدعو أهلها (أى أهل الزوجة) جميعاً وأهله إلى وليمة كبيرة تسمى (التعريفة) يعرّف فيها بعضهم ببعض — وقد يبلغ المدعوون إليها المئات فى بعض الأسر الكبيرة . . .

فأنى لمثلى الطاقة على هذه المصروفات التى تخرب بيوت الأغنياء ؟ وإنى لأعرف قاضياً شرعياً زوّج ابنه ، فتكاثرت عليه النفقات ، فلم يقدر عليها حتى باع بيته — لينفق ثمنه فى ليالى العرس ! هذا أول موانع الزواج وأظهرها . . .

الحجاب

وهب أنى قد وقعت على كنز ، أو أصبت إرثاً فأصبحت غنياً وتوفر لى ما أبتغى من المال فكيف أختار زوجتى ؟ أما الحاسرات المتبرجات اللائى يعرف الرجال كلهن : صدورهن ونحورهن وأيديهن وسوقهنّ ، فأنا (بحمد الله) أعقل من أن أتخذ منهن زوجة ، ولو كانت ابنة ماء السماء ، وأعلم العلماء ، وما أحسب ذا دين ومروءة ، يرضى أن يتزوج بمن رضيت لنفسها إهمال الدين ، وإسقاط المروءة ، بتعرّضها فى زينتها وفتنتها الرجال ، تستهويهم وتأخذ بأيديهم إلى النار . . . بقى علىّ المتحجبة من بنات الأسر ، وهى التى لا سبيل إلى رؤيتها إلا ليلة الزفاف ، بعد أن يكون الغلّ قد استدار حول عنقى ، والقيد قد أحكم إقفاله على يدى ورجلى ، ولم يبق لى إلا أن أقبل

بها ولو كان لها وجه قرد وأخلاق شيطان !

أفهذا من المعقول ؟

يريد المرء سفراً ، فيتحرى عن أخلاق رفيقه أياماً ، ليعلم أيوافقه أم يخالفه ؟ ويبتغي أجيراً فيراه ويبحث عن أصله وفصله ؛ ويجرّبه أياماً ؛ ويعزم على أن يتزوج ، فلا يرى رفيقة حياته ومهوى قلبه ، وموضع حبه ، إلا بعد أن يتمّ كل شيء ؟

مع أن الشرع أباح له أن يراها ويجالسها[1] . . . ومع أنها تخرج إلى السوق فيراها (على خلاف الشرع) البائع ومن كان عنده ، ويقدّم إليها القهوة ويحادثها ، ويراها عمال السينما ، ويراها ويراها ، فما الذي حاق بالآباء حتى هان عليهم كل محرّم ، وصعب عليهم ما أحلّ الله ؟

هذا هو المانع الثاني من موانع الزواج ، بل إن هذا الوضع هو الذي سبب ما نرى من تبرج النساء وحسورهن ، وعريهن على السواحل . . . ولا علاج له إلا بحجاب شامل (وذلك ما لا يستطاع) أو بسفور شرعي ، كالذي سماه صديقي الأستاذ عز الدين التنوخي بسفور الراهبات ، وذكر أن الحشويين الجامدين ، يقابلون من يدعو إليه بالسباب والشتائم ، وذلك هو الواقع ، فإن هؤلاء قائمون بالمرصاد لكل من يعرض رأيا في إصلاح حال المرأة الذي كاد يصل إلى حدّ العري المطلق بل لقد بلغه فعلاً . . ولكنهم لا يأتون بأي رأي من عند أنفسهم ، ولا يهتمون بما يرون ، فهم هادمون ولا يبنون ، وهم مفسدون لعمل كل مصلح ولا يصلحون . . . ولله الحمد على أن ضعفت مُنّتهم ، وخفتت أصواتهم ، وبادت جماعتهم ، ونسأل الله أن يبدلنا بهم علماء يفهمون روح الإسلام ويعرفون حقائقه ، ويفهمون روح العصر ويعرفون حاجات أهله

الخوف العائلي

فإذا يسر الله لامرئ سبيل الزواج ، وأنجاه من هذه الموانع ، عرضت له مشاكل ، ورأى من المتاعب ما يندم معه على ما أتى ، ولو ذهبت تتقصى أحوال المتزوجين وعائلاتهم في بيوتهم لوجدت أكثرهم متألماً شقياً ، ولهذا الألم أسباب يمكن تلافيها لو تدبر الزوج ، وعزم على التلافي .

أول أسباب الخوف

أعرف أخوين : أما أحدهما فشيخ محافظ توفي رحمه الله من سنين طويلة ، وأما الثاني فأديب موسيقي على الطراز الجديد . تزوج الأول ، ولبث مع زوجه ستة عشر عاماً حتى توفي عنها ولم يكلمها على مسمع أهله كلمة ، وإنما كان يوجه الكلام إلى أخته سائلا حاجته ، أو يأمر أخته أن تقول لها ما يريد ، وألفت ذلك منه ورضيت به أو صبرت عليه . وكانت تخشاه كخشيتها الله أو هي أشد خشية . . وأما الثاني . . لا . بل إن أكثر من عرفنا من الأزواج (المجددين) تتحكم بهم نساؤهم ، فيأمرنهم وينهينهم ، ويشتمنهم و . . ويضربنهم ! وهم يخافونهن ولا يجرؤون عليهن . .

أي أن الأزواج بين رجلين ، رجل أعمل سلطته ، وأسقط عاطفته ، فكان في بيته سيداً ، ولكنه لم يذق طعم الحب ، ولا عرف السعادة الزوجية ، ورجل تبع عاطفته فأرضاها ، وأهمل سلطته فأضاعها ، فعاش في داره عبداً . . ، وتفصيل ذلك أن الزوج هو الذي يحكم على نفسه ، ويختار طريقه . فإذا دلل زوجه في الأيام الأولى ، ومثل لها (دور العاشق في الروايات الخيالية ، ومنحها قياده ، وأراها أنها حياته ، وأنها الآمرة الناهية عليه ، وتذلل لها وخضع ، (ولذة الحب في التذلل والخضوع) ألفت ذلك منه ، وتعودته . . فإذا طارت من رأسه سكرة الحب ، وأحب أن يحكم في الدار ، كما يحكم رب الدار ، وجد الأمر قد أفلت من يده ، فيبدأ الخلاف ، ثم لا ينتهي أبداً . وإذا هو ضبط نفسه في الأيام الأولى ، ولم يعط إلا بمقدار واستعمل عقله وسلطانه ، ألفت منه الزوجة ذلك ، فوجدت كل عطف منه بعد ذلك غنماً كبيراً . .

فالزوج العاقل الحازم من لم تلهه حلاوة العسل التي تدوم له شهراً ، عن مرارة العلقم التي ستبقى دهراً طويلاً . ومن لم تشغله اللذة الجسمية العاجلة ، عن السعادة الروحية الآجلة ، فليتنبه لهذا الأزواج ، فمن هنا منشأ الخطر . .

معوق الزوجين

ومن أسباب النكد البيتي ، والشقاء الدائم ، الخلاف . . .

(١) أي يراها غير حاسرة ويجالسها غير منفرد بها

حقوق كل واحد من الزوجين ، فن الرجال من يأخذ أكثر من حقه ، ومن النساء من تقيم نفسها مقام الرجل ، وتفرض عليه سلطانها ، حتى إن الرعناء لتسأله : أين كنت ؟ ومن كلمت ؟ بل إن من النساء الجاهلات المتحذلقات ممن يحسبن أنهن متعلمات ، من تحاسب زوجها على زيارته أهله ، وصلته رحمه ، وتغار عليه إذا كلم عمته أو زارها . . حتى أصبح الأمر فوضى لا نظام له وظلمة لا نور فيها : مع أن الشرع الاسلامى (الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، إلا بين وجه الحق فيها) قد حدد حقوق الزوجين ، فجعل من حقوق الزوج على زوجته أن تطيعه فيما لامعصية فيه ، وأن تصون عفافها ، وألا تخرج إلا باذن منه أو لضرورة ، وأن تحرص على إدخال السرور عليه ، وألا تكلفه مالا يطيق ولا تطالبه بالزائد من حاجة نفسها ، وأن تبذل جهدها فى أداء واجباتها الدينية ، وأن تعطيه زمام الرياسة المنزلية. ومن حقها عليه أداء مهرها كاملا إليها – الانفاق عليها بالمعروف – أن يجتهد فى تعليمها واجباتها الدينية – أن يكتم سرها ولا يتحدث به – حسن خلقه معها — احتمال بعض الأذى منها — ممازحتها ومداعبتها [1] — أى أن للرجل على الجملة رياسة المنزل (حين لم يكن بد لكل شركة أو جماعة من رئيس) وله السيادة فيه ، وحفظ كرامته ، وإدارة شؤونه الخارجية والاشراف على أموره كلها ، وله الحكم فى كسوة المرأة وخروجها ، وله تأديبها بالعدل ، ومن غير أن يخرج على ما أحل الله وذكر فى كتابه ، وللمرأة حق التصرف بأموالها ، وإدارة شئون المنزل الداخلية ، والنفقة عليها وضمان حاجاتها اللازمة؛ ولها عليه أن يحرص على سعادتها وسرورها ، ويعاملها بالخلق الحسن ، والقول اللين ، ويتغاضى عن خطيئاتها ما أمكن التغاضى ، ويعلم أنها شريكة حياته ، وأدنى الناس إليه فلا يستأثر دونها بطعام أو شراب ، ولا يدعها فى المنزل وحيدة متألمة ، ويسهر فى المقاهى والملاهى ، ولا يقدم نفسه عليها فى كسوة أو متعة من متع العيش

المشاكلة بين الزوجين

وإن من أظهر الخلاف بين الزوجين ، ألا يكون بينهما مشاكلة ومماثلة ، كأن يكون فقيراً وتكون هى غنية ، فتعيره بفقره ، وتترفع عليه بمالها ، أو أن يكون من رجال الأعمال ، وتكون متعلمة ، على أن المتعلمة العالمة حقاً لا ينتظر منها إلا كل خير ، ولكن البلاء فى هؤلاء اللائى يحسبن أنفسهن متعلمات ، لأنهن كن قبل الزواج معلمات فى مدرسة أو مديرات ، وإن كن لا يفتحن فى السنة كتاباً ، ولا يفهمن شيئاً ، ولا يعرفن إلا تنكيد حياة الزوج ، وإضاعة ماله فى الولائم والاستقبالات ، والكسوة والزينة ، هؤلاء هن البلاء الأزرق ، وخير منهن الأمية الجاهلة. ومن أشنع أشكال الاختلاف بين الزوجين ، حال من يتزوجون بالأجنبيات ، فيرون منهن (على الغالب) ما يتمنون معه الموت الأحمر . وإنى لأعرف من الناس رجلا درس في فرنسا وجاءمعه بفتاة زعم أنها من أكرم الأسر الفرنسية وأعرقها ، فتزوج بها ، فكان من أيسر ما تصنع أنها تذهب إلى السينما فترى الضباط الفرنسيين فتحن إليهم بصلة الدم ، فتكلمهم وتصادقهم ثم تدعوهم إلى دارها فلا يروع صاحبنا إلا الضباط قد ملأوا بيته. ثم انتهى أمرها بالفرار مع واحد منهم !

ومن العجب أن دماغين كبيرين تواردت خواطرهما على مسألة واحدة ، وبينهما الدهر الأطول ، وبينهما ما بين المشرق والمغرب فوقعا فيها على الصواب الذى نعرفه ولا نريد أن نتبعه :

لما كانت القادسية ، ولم يجد الناس نساء مسلمات ، تزوجوا نساء أهل الكتاب ، فلما كثر المسلمات بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بن اليمان بعد ما ولاه المدائن : « بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها » فكتب إليه : «لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام، وما أردت بذلك؟ »

فكتب إليه عمر : « لا ، بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلابة ؛ وإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم »

فقال حذيفة : الآن ! وطلقها .

هذا حكم الرجل العظيم ، عمر ، وقد حكم به فى المدينة منذ ألف وثلاثمائة سنة .

وأما الثانى فحكم الرجل العظيم موسولينى ، حكم به المؤتمر الفاشى فى روما ، فى هذا الأسبوع ، حين كان من مقرراته منع الايطاليين من الزواج بالأجنبيات

فمن لم يعظه قول عمر ، فليعظه حكم موسولينى !

« البقية فى العدد القادم » دمشق على الطنطاوى

(١) حقوق الزوجين للأستاذ الشيخ محمود ياسين

كتاب المبشرين

الطاعن في عربية القرآن

الشيخ ابراهيم اليازجي

لأستاذ جليل

— ٤ —

عمل (المضلون) بالقول الأوربي المشهور المدون: (المأرب يبرئ الذريعة) فأشاعوا مشاعهم، وطبعوا في (كتابهم) مكذوبهم: «هاشم العربي الشيخ اليازجي» مسبئين إلى صاحب (الضياء) في حياته ومماته. وقد صدّق الناس من بعد ما رأوا الكلام فريتهم. وهأنذا أصدع[1] اليوم بالحق معلناً في (رسالة الاسلام والعربيــة) براءة اليازجي مما قذف به. ومن برهانان دامغان؛ فقل للضالين المضلين أصحاب الكتاب المزور وذوى الكذب السخت[2] «قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»

البرهان الأول

كانت تلكم الاشاعة، ونشر المضلون قطعة من (مكتوبهم) في مجلتهم التضليلية. فكتب حجة الاسلام الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في (مناره) عجلان غير متأن ولا متثبت — هذه الجملة:

«نشرت مجلة البروتستنت المصرية نبذة في الطعن في القرآن نقلتها عن كتاب لهم يقال: إن للشيخ ابراهيم اليازجي يداً في تصحيحه أو تأليفه أو ترجمته والزيادة فيه»

(١) في (الكشاف): فاصدع بما تؤمر: فاجهر به وأظهره، يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً كقولك: صرح بها من الصديع وهو الفجر، والصدع في الزجاجة الابانة

وفي (الأساس): صدع بالحق: جهر به مفرقا بينه وبين الباطل

قال (اليازجي): ويقولون أمره أن يصنع كذا فصدع بالأمر يعنون أنه أطاع وأمضى ما أمر به، ولم يأت صدع في شيء من هذا المعنى

(٢) كذب سخت وسختيت: خالص، وفي كتاب تهذيب الألفاظ: زعم أبو عبيدة أن سختا بالعربية والفارسية واحد

وقدحدا الامام على التسرع بما كتب غضبه المغضوب للدين، ومزاج كريم يشتعل بأدنى قدح ...

فلما اطلع صاحب (الضياء) على الذى في (المنار) هاج أيما هيج بل كاد يجن؛ إذ فحواه عنده أنه عسيف[1] من العسفاء عند (المبشرين) و «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها[2]» وأنه يجهل العربية — وما يعرفه منها هو رأس ماله في الحياة — وأنه عدو للمسلمين — وهنا الخطب المهم — فسارع إلى إذاعة كلمة في (ضيائه[3]) قال فيها:

«وقفنا نقلب الطرف في هذا الكلام ونحن نستحضر ما كر علينا من سوالف الأيام، ونتمثل ما مر بنا من غرائب الأحلام، لعلنا نتذكر في أي عهد كنا من الناقشين في العقائد الدينية، وفي أي زمن كنا نؤلف الكتب في الطعن على الأسفار السماوية. ومتى كنا نتعاطى حرفة التبشير بالأديان، وأي ثمرة لنا في صرف بعض القوم عما اعتقدوه من الايمان. أمور يعلم كل من له أدنى معرفة بنا أننا من أبعد الناس عنها»

«نحقق لحضرة الرصيف الفاضل أننا براء مما اتهمنا به أو اتهمنا به لديه، وأننا من أبعد خلق الله عن هذه السخافات التي يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده. وإن لم يكن له بد من ملازمة هذا الموقف والنضال بهذا السلاح فعنده من قسوس الانكليز والأمريكان ومن ينتمي إليهم من المتقسسين — وكلهم معروفون لديه اسماً وجسماً — من يكفيه استنزالنا إلى هذا المجال، وتكليفنا أن نعمل بضد ما طبعنا عليه»

هذا كلام اليازجي، وهو قول الجاد لا الهازل، والصادق لا الكاذب، وقد كان الرجل صادقاً، وكان ذا إباء وكبرياء، يعرف ذلك في خلائقه من يعرفه، فلن يخدم المبشرين في حال، ولن يسف إلى تلك «السخافات التي يتاجر بها قوم لاستدرار الرزق من أخبث موارده[4]» ثم إن اليازجي من طائفة (الروم

(١) العسيف: الأجير

(٢) قال الميداني: يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الاموال (٣) السنة (٥) الصفحة (٥٦٥)

(٤) ليسأل الجاهلون الأستاذ (قسطاكي الحمصي) فهو خليل (ابرهيم) وأدرى الناس بأخلاق (اليازجي)

وفي (أعلام الأستاذ الزركلي): «وقف ... اليازجي ابرهيم)

الكاثوليك[1]) والمضللون من البروتستنت، والكاثوليكي حرب البروتستنتي، والبروتستنتي لأن الكنيسة الكاثوليكية عدو مبين فقل لي : « عمرك الله كيف يلتقيان ؟ »

البرهان الثاني

أغلاط اليازجي في إنشائه وفي تغليطه غيره ، فيها البركة ... لكنه لن يخطئ فيما أخذته معرفة وفيما خطأ فيه الأدباء . وفي (كتاب التضليل) أغلاط نبه عليها هو نفسه . وكان إعلانه إياها وتلفيق ذاك الكتاب في برهة واحدة ، ومستحيل أن يحرم الخطأ عاماً ويحلله عاماً تلبساً وتدلساً كدأب مضلل أو شعوذي

وهذه أقوال (المضللين) وهذه أقوال (الضياء) :

١ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين ، الصفحة (٦٩) : « يتردد إليها جماعة القسس »

قال الشيخ اليازجي (الضياء ، السنة (١) الصفحة (٣٥٧) :

« ويقولون جماعة القسس بضمتين ، يريدون القسوس فيحذفون الواو ، لأن فَعْلاً الساكن العين لا يُجمع على فُعُل »

(قلت) : في (المصباح) : القس جمعه القسوس ، وفي (التاج) : جمع القس قسوس بالضم . وفي (اللسان) : القُسُس العقلاء ، والقسس : الساقة الحذاق ...

٢ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٨٤) : « إنه كان كسائر بني جلدته » (يعني سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه)

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٤٤٩) :

« ويقولون : فعل هذا لمصلحة أهل جلدته يريدون قومه وأهل جيله — الجيل الصنف من الناس كالعرب والترك والروس — وقد أولع كتابنا بهذه العبارة ، وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب عن أصل مغزاها ومراد قائلها »

(قلت) : تجادل الأستاذ قسطاكي الحمصي والأستاذ سليم الجندي في هذه اللفظة فوافق الأول اليازجي على نقده وخالفه الثاني فيه قائلا : « قال في اللسان وفي الحديث قوم من جلدتنا أي من أنفسنا وعشيرتنا » ولكل مقام مقال ، ولكل حال ألفاظ ، والقصد من إيرادنا قول المبشر وقول (الضياء) الأعلام بأن اليازجي لا يستعمل شيئاً أنكره هو

٣ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٢١) : « ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وإنما نحن مكلفون بالاعتقاد بأن الله لا شريك له ولا شبيه ومن هؤلاء مالك بن أنس »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة (٣٢٣) :

« ويقولون : كلفته بالأمر فيعدون هذا الفعل إلى المفعول الثاني بالباء ، والصواب تعديته إليه بنفسه ، تقول : كلفته الأمر)

(قلت) : الأقوال العربية والمعجمات كلها تساند اليازجي ، ولم يعد هذا الفعل بالباء إلا في كلام المتأخرين من المولدين . وفي (الجمهرة) : تكلفت الشيء تكلفا إذا تجشمته ، والكلفة من التكلف ، والتكلفة تكلفك الشيء وتحملك إياه

٤ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٩٣) : « فشرع (أي بحيرا الراهب) يفكر في ما يفعله لردّ أهلها عن الشرك ويطلب رجلا منهم يستعين به على غرضه حتى عثر بمحمد »

قال الشيخ اليازجي « الضياء السنة (٥) الصفحة (٦٢٠) في نقده (البؤساء) لحافظ : « وربما وقع له غير ذلك كقوله : (ألم تعثر في طريقك أيها الراهب بفلان) والمنصوص عليه في هذا المعنى عثر عليه لا به »

(قلت) : رويت في الجزء (٢٦٦) من (الرسالة) — الصفحة (١٢٨٨) ما قاله اللسان والصحاح والأساس في هذا الفعل ، ولا ريب في خطأ المبشرين

٥ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٢٧) : « وأنت إذا أمعنت فيه النظر وجدته »

رزقه من شق قلمه ، فعاش فقيراً ، غني القلب ، أبي النفس »

وفي هذا الكتاب : « واستقر في مصر فأصدر مجلة (البيان) ثم أصدر مشتركا مع الدكتور بشارة زازل مجلة الضياء شهرية فعاشت ثمانية أعوام »

قلت : اشتركا في البيان ثم اختلفا ، وأنشأ اليازجي (الضياء) وحده ، وكانت تصدر مرتين في الشهر . والناس للطبعة الثانية من (الأعلام) منتظرون

(١) للروم الكاثوليك في بيروت مدرسة اسمها (المدرسة البطريركية) خدمت العربية خدمة عظيمة سبقت بها كل مدرسة في بلاد الشام . وكان من أساتذتها الشيخ ابرهيم اليازجي ، والشيخ ابرهيم الحوراني، و (الشيخ عبد الله البستاني) — رحمه الله — وأستاذ البيان والأدب فيها اليوم حضرة الشيخ ابرهيم المنذر ، وكلهم نصارى ، وكلهم كبار

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٥٤):

« ويقولون أمعن في الأمر وتمعن فيه أي تدبره وتقصى النظر فيه ، وربما قالوا تمعنه ، وأمعن فيه النظر . وكل ذلك غلط لأن الامعان بمعنى الابعاد في المذهب ، وهو لا يستعمل إلا لازما . يقال : أمعنت السفينة في البحر ، وأمعن الطائر في الطيران إذا تباعد ، وقد يستعمل بمعنى المبالغة في الأمر مجازا ، يقال : أمعن في الطعام والشراب ، وأمعن في الضحك . وأما تمعن فلم يثبت وروده في شيء من كلام العرب »

(قلت) يقال : أنعم النظر في الشيء لا أمعن النظر فيه . قالت (النهاية) ومنه الحديث : امعنتم في كذا أي بالغتم ، وأمعنوا في بلد العدو وفي الطلب ، أي جدوا وأبعدوا . وقالت : « وفي حديث صلاة الظهر : فأبردَ بالظهر وأنعمَ أي أطال الإبراد وأخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر في الشيء أي أطال التفكير فيه » وفي اللغة (التمعن) غير أن معناه التصاغر والتذلل انقياداً كما في النهاية واللسان والتاج

٦ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة ٧٣) : « ولذا كان محمد في باديء أمره يداريهم »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة ٣٥٤) : « ويقولون فعل كذا في باديء الأمر أي في أوله وبدئه ولا معنى للبادىء هنا لأنه اسم فاعل والمقام يقتضي المصدر أو الظرف »

قلت : قالوا : « وافعل هذا بدءاً وباديء بدء وباديء بدي » وفي (التاج) جل الصور لهذا التركيب . وفي (اللسان) : « وباديء الرأي أوله وابتداؤه ، وعند أهل التحقيق من الأوائل ما أدرك قبل إنعام النظر ، يقال : فعله في باديء الرأي . وفي التنزيل العزيز : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) قرأ أبو عمرو وحده باديء الرأي ومعنى قراءته أي أول الرأي أي اتبعوك ابتداء الرأي حين ابتدؤا ينظرون وإذا فكروا لم يتبعوك » قال العكبري : « باديء هنا ظرف وجاء على فاعل كما جاء على فعيل نحو قريب وبعيد وهو مصدر مثل العافية والعاقبة والعامل فيه أربعة أوجه »

٧ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي : (كتاب المبشرين ٨٩) : « ويشفع فيمن يقترف من أهلها الأشقياء التعساء بعدل قضاء الله ... »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (١) الصفحة (٣٢٤) : « ويقولون رجل تعيس وقوم تعساء وهو من أهل التعاسة ، وكل ذلك خلاف المنقول عن العرب . والمسموع عنهم رجل تاعس وتعس بوزن كتف وقد تعس بفتح العين وكسرها[1] ، والمصدر التعس بالفتح[2] والتعس بالتحريك ، ويعدى الأول بالهمزة والثاني بالحركة[3] تقول : تعسه بالفتح ، وهو متعس ومتعوس لم يحك فيه غير ذلك »

(قلت) : كتب اللغة المعروفة المطبوعة — ماعدا الجمهرة — لم تذكر التعيس . ولم أجد هذه اللفظة إلا في كتاب ابن دريد وفي رسالة الغفران في بيت لأحد الجن . . قالت الجمهرة : « ورجل تاعس وتعس وتعيس » وقال الجني (أي أبو العلاء ..)

حتى إذا صارت إلى غيره عاد من الوجد بجد تعيس[4]

وإذا صحت اللفظة فاليازجي ينكرها فهو لايقولها ولا يقول جمعها ، لايقول : التعساء .

٨ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٤٤٥) : « وغير ذلك من معائب الكلام »

قال الشيخ اليازجي (الضياء ، السنة (١) الصفحة (٤٥٢)

« ويقولون في جمع المنارة منائر ، وصوابه مناور بالواو كما يقال في جمع مفازة مفاوز لأن حرف المد إذا كان أصلا لايهمز[5] ومثله قولهم مصائب ومشائخ ومكائد بالهمز أيضاً وصوابهن بالياء »

قلت : قال ابن يعيش : « ألا ترى أنك لاتهمز ياء معيشة بل تتركها ياء على حالها في الجمع نحو قولك معايش لكون الياء فيها أصلا ، متحركة في الأصل » وقد استعمل كتاب المبشرين في الصفحة (١٤٨) لفظة معايش صحيحة لأن مناط القرآن في

(١) قلت : في (الاساس) : الكسر غير فصيح

(٢) كذا ، وعندي أنه تطبيع

(٣) قلت : في (المصباح) : وتعس من باب تعب وتتعدى هذه بالحركة وبالهمزة . وفي (اللسان) قال الازهري قال شمر : لا أعرف تعسه الله ، ولكن يقال : تعس بنفسه . وفي (التاج) إذا خاطب بالدعاء قلت : تعست كنع ، وإن حكيت عن غائب قلت : تعس كسمع . قال ابن سيدة وهذا من الغرابة بحيث تراه ...

(١) من قصيدة مطلعها :

مكة أقوت من بني الدرديس فما لجني بها من حسيس

وفيها :

إنا لمنا بعدكم فاعذروا برقع فاهتاجت بدر بئيس

برقع بالكسر اسم السماء السابعة لاينصرف (الصحاح)

(٢) قلت : شذت مصائب ومنائر . قال ابن جني : همزة مصائب من الصائب . في (المصباح) : الاصمعي : أرى جمعها على مصائب من كلام أهل الأمصار . وفي (اللسان) : سيبويه حمل ماهو من هذا على الغلط

العربية وجدها وهو يطالع (الكتاب) ليظهر أغلاطه — كذلك فاستبقاها كما رآها ولما جاء إلى شبيهتها في قاعدتها همز ، ويل له ما أجهله !

٩ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٢١٥) : « إذا حانت صلاة من هذه الصلوات دعاهم إليها المؤذنون من مآذن مساجدهم إذ لا يجوز عندهم قرع النواقيس كما تفعل النصارى »

قال الشيخ اليازجي (الضياء السنة (٧) الصفحة ٥١٥) : « إنما النواقيس جمع ناقوس وهو كما فسره صاحب القاموس خشبة كبيرة طويلة تقرع بخشبة قصيرة يقال لها الوبيل إيذانا بوقت الصلاة ، وكل أحد يعلم أن هذا النوع هو مما لا يعرف له وجود في جميع أوربة »

(قلت) : لو كان مترجم (مقالة في الاسلام) وذو الذيل هو اليازجي ما قال (النواقيس) لأن اللفظة في الأعجمية هي (Bell) وسال منشيء (المقالة) يجهل الناقوس في الشرق ، ولا يعني إلا الذي عرفه في بلاده . فلن يستعمل اليازجي ما نقده ، ورأى أنه وضع في غير مكانه

١٠ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة (٣٠) : « فكم من قائد جيش زحف عليهم فعاد عنهم بالفشل »

قال الشيخ اليازجي (الضياء) السنة (٥) الصفحة (٥٦٤) : « ومثل هـذا لا يتصور من الفشل لأن معناه الجبن والفزع والضعف »

(قلت) : يقصد كتاب المبشرين أنه رجع بالخيبة ، والفشل في الأقوال العربيـة والمعجمات كلها : الجبن والضعف والفزع وما أشبه ذلك ، وهو فشل ـ بكسر الشين وسكونها للتخفيف ـ والجمع أفشال . وفي (الأساس) : دعي إلى القتال ففشل أي جبن وذهبت قوته ، وعزم على كذا ثم فشل عنه أي نكل عنه ولم يمضه

١١ — قال هاشم العربي الشيخ اليازجي (كتاب المبشرين الصفحة ٣٢٠) : « أفتدري بكم من سنة قبل أن أخلق قد كتب التوراة »

قال الشيخ اليازجي في مختصر (كتاب نار القرى في شرح جوف الفرا) : « إن كم تختص بجواز جرها بعدها باضمار من وذلك إذا دخل عليهـا حرف جر نحو بكم درهم تصدقت قصدا للمشاكلة بينهما . غير أن النصب هو المختار ولا يجوز عند الجمهور إظهار من لأن الحرف الداخل على كم عوض عن التلفظ بها »

قلت : لن يقول اليازجي « ولا يجوز » ثم يجيز ، وقد قال سيبويه : « وسألته (يعني الخليل) عن (على كم جذع بيتك مبني) فقال القياس النصب ، وهو قول عامة الناس ، فأما الذين جروا فانهم أرادوا معنى (من) ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً على اللسان ، وصارت (على) عوضاً منها . ومثل ذلك : الله — بكسر الهاء وفتحها — لا أفعـل ، وإذا قلت لاها[1] اللهِ لا أفعل لم يكن إلا الجر ، وذلك أنه يريد لا والله ولكنه صار (ها) عوضاً من اللفظ بالحرف الذي يجر وعاقبه . ومثل ذلك آلله لتفعلن إذا استفهمت ، أضمروا الحرف الذي يجر وحذفوا تخفيفاً على اللسان ، وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه في اللفظ معاقباً »

وروى ابن يعيش في شرح (المفصل) قول (الكتاب) مؤيداً .

وقال شارح (الكافية) : فكأن الجار الداخل على كم داخل على مميزه فالجر عند الزجاج بسبب إضافة كم إلى مميزه كما في الخبرية ، والمجوِّز قصدُ تطابق كم ومميزه جراً ، وعند النحاة هو مجرور بمن مقدرة » وقال محمد بن مالك :

وأجِزْ ان تجره (من) مضمرا
إن وليت (كم) حرفَ جر مظهرا

وقد جاء مثل (الصبان) في آخر الزمان يقول : « وقيل يجوز نحو بكم من درهم اشتريت » وقد قال قبل ذلك : « ظاهره منعُ ظهور من عند دخول حرف الجر على كم وهو المشهور لأن حرف الجر الداخل على كم عوض من اللفظ بمن المضمرة »

« الاسكندرية » (* * *)

---

(١) ها : هي التي للتنبيه ، قال سيبويه : قدم (ها) كما قدم قوم ها في قولهم : ها هو ذا ، وهأنا ذا

تنبيه

في القسم الثالث ذهب شيء من كلام أبي علي الفارسي فليقرأ : فاذا خولف باعراب الأوصاف كان المقصود أكمل لأن الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كأنه أنواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة

تسهيل الدراسة الدينية

للأستاذ داود حمدان

بمناسبة ما أثير من جدل حول تيسير قواعد اللغة العربية يصح للانسان أن يبحث فى تسهيل الدراسات الدينية أيضاً ، فانها فى حالها الحاضر من الصعوبة والعقم بحيث تستدعى البحث وكثرة التفكير ، ولعل هذه الكلمة تفتح الباب للباحثين . والله الموفق

لا شك أن الدراسة الدينيـة فى حالها الحاضر صعبة ، وغير مؤدية إلى فائدة ، لا سيا فى تعليمها العالى ، وبالموازنة بين الماضى والحاضر يظهر الفرق العجيب

لـما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بتبليغ الدين ، عملاً بقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) كان الرجل يأتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على دين مما يعرف الجاهليون إذ ذاك فيمكث عنده ساعة من زمان يتلو عليه النبى فيها بعض آى القرآن الحكيم ، فيقوم الرجل من عنده وهو مسلم حسن الاسلام ، مؤمن كامل الايمان ، عالم بما أوجبه الله وما حرمه عليه[1]

واليوم يذهب المسلم المولود من أبوين مسلمين إلى أعلى معاهد العلم الدينى فيشتغل بضع عشرة سنة ، ثم يرجع إلى قومه وقد زادت الفوارق بينه وبين الدين كما زادت بينه وبين الناس

وكان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فيتلقفون القرآن ويتدارسونه ، فيملأون الأرض علماً وحكمة ، كما يملأونها طهراً وعدلاً وصلاحاً

واليوم يتخصص أوفرهم ذكاء ، وأكثرهم اجتهاداً ، وأصبرهم على الدرس ، سنوات عديدة وقصاراه أن يحصل بعض ما علموه ، ويتحلى بحفظ بعض ما قالوه . واليوم يدرس الدارس بضع عشرة سنة ويظل العامى أكثر منه ورعاً وتقوى

بهذه الموازنة يظهر بكل وضوح أن تعلم الدين فى المـاضى كان مؤدياً أجل النفع ، وأعظم الفائدة ، وأنه فى الحاضر قليل النفع والفائدة ، بل ضار أعظم الضرر

(١) فى الوحى المحمدى قريب من هذا المعنى

فالامَ يرجع السبب فى هذا الاختلاف بين الماضى والحاضر ؟

هـذا سؤال لم يكن أحد ليعيا بالجواب عنه إذا علم من أين كان يؤخذ الدين بالأمس ، ومن أين يؤخذ اليوم

إن المسلمين كانوا يأخذونه من القرآن ، ثم صاروا يأخذونه من غير القرآن ، وما القرآن عندهم — والحالة هذه — إلا مادة كمالية . ومهما أنكروا هذا بألسنتهم فهم ملزمون به من عملهم . ألا ترون أن طالب العلم الدينى يدرس كتب الفقه ويعرف أحكام الدين — فى زعمهم — ويدرس كتب التوحيد والعقائد قبل أن يدرس القرآن وتفسير القرآن؟ بل ربما لا يحضر دروس التفسير أصلاً ، وإن هو حضرها فلا يستطيع أن يأخذ منها حكما واحداً لأن طريقتها لا تعود الاستقلال فى الفهم ولأنه نشأ على ذلك

فى صدر الاسلام كان النبى عليه السلام لا مادة عنده للدين غير القرآن ، فمنه كان يعلم الناس ، وبتلاوته عليهم كانوا يسلمون لما يأخذهم من روعة بلاغته ، وصدق لهجته ، والشعور باعجازه . وبالقرآن كان الصحابة ومن بعدهم يبلغون الدين . وفى تلك الأوقات كان التابعون فى علم الدين أكثر من أن يحصوا ، بل تستطيع أن تقول إنه لم يكن أحد حينئذ يقلد أحداً فيه ، وإذا جهل أحد شيئاً فانما كان يرشده العالم به للدليل ولا يلقنه الحكم تلقينا

ولما فشا التأليف ، وأكثر المتعلمون من قراءة الكتب التى ألفها أصحابها فيما استنبطوه من الأحكام الفقهية ، والمجادلات المذهبية ، نقص معدل النبوغ ، ثم صار يزداد نقصاً كلما كثرت المؤلفات الفقهية وأقبل النـاس على دراستها . فلما كان العصر الخامس بدت تلك القولة المجرمة الأثيمة ، ألا وهى سد باب الاجتهاد ، وصرح بعض الفقهاء أن الاجتهاد بعد الأربعمائة منقطع ، وذلك لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وسوء ظنهم بالناس . فضعفت الهمم ، وما زالت الأمة إلى الوراء حتى عصرنا هذا . فالمسلمون من العصر الخامس حتى اليوم ، بل من العصر الثالث لا يأخذون الدين إلا من كتب الفقه والـكلام طبقة عن طبقة ؛ فكل طبقة تنظر فى كلام سابقتها وتشرح أو تعلق أو تؤول ، حتى وصلنا الدين بحالته الحاضرة وبعبارة صريحة . وصلنا وهو بعيد عن القرآن ألفا وأربعمائة سنة . إى والله ،

ألفا وأربعمائة سنة نحن بعيدون عن القرآن ، وإن كنا نتلوه للتبرك ، وذلك بسبب الالتواء في الدراسة . وقد صدق علينا المثل العامي : نمسك من الدين بذيله : نترك رأس النبع وهو القرآن ، ونأخذ من ذلك الرشاش المتطاير منه إلى أفهام الناس . أفلا ينظر المسلمون إلى أي هوة وصلوا من جراء هذا ؟ !

كانوا عند ما لحق الرسول بالرفيق الأعلى أمة واحدة ، لا يعرفون لهم إماما إلا القرآن . وأصبحوا لا تحصى فرقهم ومذاهبهم وشيعهم . ولكل فرقة أو شيعة إمام غير القرآن . لا يقولن قائل إن السبب في بعض الاختلافات كان سياسياً . فان الاختلافات السياسية كان ينبغي أن تموت بموت سببها ؛ ولكن بقاء الكتب ودراستها فيما بعد ، دون دراسة القرآن الكريم بعقل مجرد عن تأثير تلك الاختلافات ، هو الذي أبقاها

وكان المسلمون لا يتركون القرآن إلى سواه ، ولا يبحثون عن حديث الرسول في قضية ما إلا إذا لم يجدوا لها نصا في كتاب الله ، كما كان يفعل أبو بكر وعمر وسائر الصحابة . فاذا اضطروا إلى حديث أخذوه بكامل التحري . وأصبحوا اليوم (ولديهم مئات الألوف من الأحاديث) يجعلونها في مرتبة القرآن ويختلفون : هل ينسخ الحديث القرآن أو يقيد مطلقه ويفصل إجماله ؟ ! وصاروا يؤولون كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليوافق كلاما رووه ، ولو حققوا لما رووه . وذهبوا إلى أبعد من هذا فأولوا القرآن ليوافق مذاهبهم ونحلهم ، وأقربهم اعتدالا أول آية التيمم لتوافق المذاهب المعروفة وعدها من المشكلات[1] ، ولم يجز لنفسه أن يؤول تلك المذاهب لتوافق القرآن . ولعل أصحاب المذاهب لو انتبهوا لمخالفة القرآن لرجعوا إليه

وكان الدين سمحا سهلا قليل التكاليف ، يستوى في فهمه البدو والحضر ، والأذكياء والبلداء ، والمتعلمون والعوام ، لكونه دينا عاما لا يختص بطبقة دون طبقة ، ولا بقبيل دون قبيل . فمن المعقول ألا يختلف في إدراك عقيدته ، ومعرفة تكاليفه أقل الناس إدراكا عن أعلاهم ذكاء ، ولكن الاختلاف إنما يكون في طرق الاستدلال . فالفيلسوف يستدل على وجود الله بفلسفته ، والطبيب بما يرى من دقائق تركيب الجسم ، والحراث مثلا يستدل عليه بما يقع تحت حسه من نبات وحيوان وكيفية نشأته ونظام حياته — أقول كان الدين سهلا ولكن كتب العقائد هي التي جعلته صعباً عسير الفهم ، لأنها من الكبر والاتساع بحيث تحتاج إلى سنين لدراستها ، ومن الدقة والعمق بحيث يُعيي فهمها الأذكياء والعباقرة . وكذلك الفقهاء الذين فرعوا الفروع ، وفرعوا من الفروع فروعاً (وولدوا البنات من الأمهات ، كما يقول صاربو الرمل) حتى فرضوا المستحيلات ، فهؤلاء قد طمسوا على ساحة الدين ، وجعلوه كثير التكاليف ، كثير الحشو . وأذكر مما يحضرني الآن مسألتين : قالوا : بعد أن يتوضأ المتوضيء أينشف أعضاءه أم لا ؟ وجعلوها مسألة خلافية . ومن العبث والغفلة أن يقال إن هذه المسألة تدخل في حساب الدين ، فالمقصد الطهارة وقد حصلت بالوضوء ، ولا ينظر الدين إلى ماوراء هذا . والمسألة الثانية أنهم أدخلوا في الدين ما ليس منه كمسألة الأزياء والملابس ، فألف بعضهم كتاباً في سنية العمامة . وما لبس النبي العمامة إلا لأن بيئته كانت هكذا تقتضي ، ولو نشأ في بيئة أخرى تلبس غير العمامة للبس كما يلبسون ، لأنه عليه السلام ماجاء لتغيير الأزياء ، ولكن لتغيير العقائد

بهذا الحشو وأمثاله امتلأت كتب الفقهاء ، وبهذا وأمثاله يضيع الذين يتعلمون العلوم الدينية زهرة شبابهم ، وصفوة عمرهم وقوة تفكيرهم ، حتى إذا انتهوا منه كانوا بعيدين عن الدين مراحل عديدة ، مقدارها اليوم ألف وأربعمائة سنة [1]

لقد جرى إصلاح في منهج دراسة الدين في بعض المعاهد الدينية ، وينبغي أن يجرى الاصلاح أيضاً في مادة الدراسة الدينية ، وذلك يكون بأمرين : الأول : دراسة اللغة العربية بطريقة سهلة غير طريقة الكتب التي تدرس الآن . والثاني : دراسة القرآن نفسه ، وأخذ الأحكام والأخلاق والمعارف الدينية منه بقطع النظر عن المذاهب ، وطريقة ذلك كما يلي :

(١) واجع تفسير المنار ج ٥ ص ١٢٠

(١) المعقول أن العلوم تترقى ، وأن علم السابق يكون نواة في علم اللاحق ولكن هذا لا يكون في علم الدين ، لأن القرآن أعلى من مستوى كل العقول . فاذا ترك درسه لن تصل العقول إلى مثل هديه ، ومقتضى ترقي العقول أيضاً أن كل عقل لاحق يدرس القرآن نفسه فيستخرج منه نفائس عجيبة

١ — فى دور التعليم الابتدائى

من اللغة يعطى التلاميذ جملا وقطعاً من منثور الكلام البليغ بقدر ما تتسع طاقتهم لحفظه ، ومن الغلط أن يختار لهم من أقوال العصور المتأخرة ؛ فان القصد أن يقربوا من لغة القرآن ، وتتجنب الألفاظ الغريبة . وكل ما شاكل ألفاظ القرآن فهو مأنوس وليس بغريب . وكلما ارتقى التلاميذ زاد لهم فى المقدار الذى يحفظونه . وعند شرحه تشرح بكلمة أو كلمتين ؛ ويستطيع المعلم الحاذق أن يعين للتلاميذ موقع الكلمة من رفع أو نصب الخ باختلاف الجمل ، وبالتكرار تنطبع فى ذاكرتهم ، فيتعودون النطق الصحيح بسهولة ، وبممارستهم الكلام البليغ يتربى فيهم الذوق العربى . وبعد الثالث الابتدائى تشرح لهم الجمل شرحاً نحوياً بسيطاً ويزاد كلما ارتقوا . ومن الرابع فصاعدا تكون اللغة الفصحى لغة الدراسة فى جميع المواد ولغة التخاطب ، ويستعملون ما حفظوا من الكلام البليغ . وليس هذا غريباً بين العرب ، حتى ولا بين غيرهم ، فان الانكليزية لغة الدراسة والتعليم فى جميع مدارس الهند ، وليست أسهل من اللغة العربية . هذا من اللغة .

ومن القرآن يحفظ التلاميذ أكبر قسط يمكنهم على الترتيب: من سورة الناس فصاعدا . وتختار لهم الآيات التى فيها أحكام التكاليف وتشرح لهم بإيجاز . وتختار لهم آيات أخلاقية وتشرح بإيجاز

٢ — فى دور التعليم الثانوى

من اللغة يعطى التلاميذ الشىء الكثير من منثور القول ومنظومه على أن يكون من أقوال العصر الأول والثانى ، ويشرح لهم شرحاً يشمل النحو والمعانى بتحليل تتحمله عقولهم ، ويزاد كلما ارتقوا . ومن القرآن يحفظون قدراً كافياً مرتباً أو مختاراً ويدرسون آيات الأحكام بتوسع ، ويقدم الألزم فالألزم ، وتؤخر مثل أحكام الطلاق واللعان إلى السن المناسبة ، ويعودون الاستنباط بأنفسهم ، ويدرسون قسطاً وافراً من آيات الآداب والأخلاق والعبر ، والآيات الكونية والاجتماعية ، ويحفظون شيئاً من الأحاديث المختارة فى الأدب والاجتماع ، وتكون لغة الدراسة والتخاطب اللغة الفصحى كما سبق

٣ — فى دور التعليم العالى

(وهذا لا يكون إلا فى معاهد العلم الدينى ، لأن غيرها لا تدرس الدين عادة فى الصفوف العالية) فى هذا الدور تدرس آداب اللغة العربية بتوسع ، وأعنى الآداب نفسها ، لا تاريخها ، فان دراسة تاريخ الآداب شىء قليل الفائدة ، وتشمل دراسة الآداب دراسة الحديث الشريف على أنه نمط من أنماط الكلام البليغ . ويدرس القرآن كله بلا استثناء دراسة وافية تؤخذ منها العلوم والمعارف الاسلامية ، والبدائع اللغوية ؛ ويراعى فى هذا الدور أن يكون التدريس مجرد إرشاد لطريق الاستنباط وتطبيق القواعد . ويطالب الطلبة بالاستنباط بأنفسهم ، ومعرفة الخطأ والصواب بعرضه على مقاييس العلم والأدب . ويدرس الحديث على أنه مادة من مواد الدين تؤخذ منها الأحكام والحكم والمواعظ، ولكن ينبغى أن تكون شروط صحة الحديث غير الشروط الحاضرة فيحذف أولا كل ما نشأ أو يظن أنه نشأ عن أسباب سياسية ، أو لتأييد فرقة ، أو بقصد الهدم كالاسرائيليات ، ثم يجعل للمعنى حظ من الاعتبار كما للرواية ، أى ليس كل ما استكمل شروط الرواية كان صحيحاً حتى يستكمل شروط صحة المعنى أيضاً . وفى هذا الدور يدرس النحو فى بعض الكتب المعتبرة المؤلفة قديماً تثبيتاً لما تلقوه من القواعد أثناء الشرح ، وزيادة فى البحث ، وفى نهاية هذا الدور أو فى دور التخصص تدرس بعض كتب الفقه والأصول والتوحيد للاطلاع والبحث . لا لتأثر خطواتها وتقليدها

بهذا تسهل دراسة الدين وتؤتى أكلها بإذن ربها ، ويلاحظ هنا أن الكلام فى دراسة الدين وأنه ليس المقصود أن تقتصر الدراسة فى المدارس على مادتى اللغة والقرآن فان مواد العلوم الأخرى لها مكانها من برامج الدراسة

ليس المجال متسعاً للتفصيل والشرح فهذه اقتراحات يمكن نقدها وتحسينها والزيادة عليها ، ولكن لا يمكن قط أن يقال : إن دراسة كتب الفقه أجدى فى الدين من دراسة القرآن

وأحب أن ألفت النظر إلى أنه ليس بيننا وبين النابغين الأولين فى علوم القرآن إلا إتقان اللغة العربية ، وأنها ليست صعبة كما يتصورون ، وأن ثلاث سنين تكفى لاتقان علومها إذا هذبت

البحث عن غـــد

للكاتب الانكليزي روم لاندو

للأستاذ علي حيدر الركابي

— ٥ —

الفجر في سورية

المواهب

إن للسياسة أثراً بليغاً في تفكير السوريين لا يجاريها فيه شيء، فان سورية كلها تشكو من مرض واحد هو شدة الحيوية السياسية. وهي الحيوية التي ما زالت في الشرق الأدنى مطلقة لا تقيدها عوامل ضبط النفس أو الشعور بالمسئولية المدنية (Civic Conxiousness)

إنه لمن الصعب جداً معرفة الفروق الرئيسية التي تفصل الحزب الحاكم عن المعارضين الذين لا يسمح لهم بأن يمثلوا في مجلس النواب. ومع ذلك فان الطموح الشخصي وميل البعض إلى الشعوذة قد حملا كلا الفريقين على الاعتقاد بأن الفوارق بينهما عظيمة كما أن كل جهة راحت تتهم الأخرى بسوء الائتمان وتزعم أنها هي الممثلة الوحيدة للوطنية الحقة — وبهذا تقيم الأحزاب البرهان على أنها تحافظ على التقاليد الشرقية تمام المحافظة

ومن أعظم ما أدهشني في سورية الرغبة الشديدة عند رجال السياسة في الاعلان عن آرائهم. ومع أن البعض نبهني إلى أني لن أحظى من السوريين إلا بتصريحات عامة وغامضة فقد وجدت السياسيين يندفعون في الحديث بعد مضي خمس دقائق أو عشر على بدء اجتماعي بهم ويصرحون بما يزيد على مطلوبي، فكان علمهم بأني رجل محايد لا أهتم بالسياسة كثيراً يدفعهم إلى الاعتراف أو الشرح أو الاتهام. وعلى كل حال فقد كان لهذه الاعترافات عندي أهمية كبرى من الناحية النفسية إذ أنها أطلعتني على بعض الأمور التي سيكون لها أثر فعال في حياة العرب السياسية في المستقبل وإن كانت هذه الأمور نفسها غير واضحة تماماً الآن

وقد وصلت الصراحة ببعض السياسيين إلى حد أنهم بينوا لي الوسائل التي يودون تسخيرها للنيل من سمعة الحزب المستولي على الحكم. وبالرغم من أن تهديداتهم كانت فارغة وأنها ربما لن تتجاوز حد الكلام إلا أنها كانت دليلا قاطعاً على فقدان روح المسئولية في الأسلوب السياسي المتبع. فالمعارضون يعتبرون القابضين على زمام الحكم في عداد الخونة، وهؤلاء يعتقدون أن الواجب يدعوهم إلى اتخاذ أي تدبير كان ماداموا يعتقدون فيه الصلاح. وعلى هذا فان كلا الفريقين يسير على غير بصيرة في طريق ينهى عنه العقل السليم ويجعل ادعاء كل منهما الاخلاص في العمل على نفع الأمة وزعمه أنه مستعد للموت في سبيلها كلاماً بلا معنى

لقد ظهر لي أثر العاطفة المتطرفة في السياسة بجلاء لما زرت أحد أعداء الحكومة وكان من قواد الثورة على الفرنسيين عام ١٩٢٥. ولو لم يؤكد لي أشخاص مختلفون بأنه كان يقود الحملة تلو الأخرى ضد الفرنسيين لما صدقت قط أن هذا الرجل كان في يوم من الأيام مصدراً عنيفاً لقلق القيادة العسكرية الفرنسية فقد استقبلني عند ما زرته في ساعة متأخرة من الليل بجلباب من الحرير الأبيض الفاخر الموشى بخيوط حمراء وذهبية وكان يقطن (شقة) حديثة فخمة. وهو خريج جامعة ألمانية مشهورة ولكنه يتكلم الانكليزية بسهولة وعذوبة تتناسب مع سكناه في منزل جميل وارتدائه الحرير الأبيض لاستقبال الضيوف الأجانب

ذكرت لمضيفي بعض رجال الحكومة فانفجر واتهمهم بالخيانة

طرق تعليمها كما قال الأستاذ الامام محمد عبده

ولا أحدثكم بعد عن الفوائد التي نجنيها من إتقان اللغة العربية ودراسة القرآن، فان الهداية والتقوى تكون ملازمة للعلم بأحكام الدين اللازمة ذكرها في آية واحدة أو آيتين متجاورتين، ولما يغمرنا من الشعور ببلاغة القرآن وسلطانه على النفوس، ثمرة ذوقنا اللغوي الذي نكتسبه من ممارسة اللغة. أما الفوارق المذهبية والشيع المختلفة فانه يقضى عليها بإذن الله، ويصبح المسلمون — كما كانوا — أمة واحدة يتعاونون على البر والتقوى. والله الموفق

(فلسطين) داود حمد الله

وسوء الائتمان، وعند ما سألته عن الوسيلة الناجعة لإزالة الفساد المالى من حياة سورية السياسية أجاب على الفور وبلا تردد :

— « يجب أن نقتل هذه الفئة السيئة أولا »

فأخذتنى الدهشة وسألته :

— « ومن تقصد بذلك » ؟

— « الذين بيدهم الحكم فهم لا يعملون إلا لتحقيق مصالحهم الخاصة »

— « ولكن ، ليس من المعقول أن ترغب فى قتلهم لمجرد اعتقادك أنهم غير نزيهين »

— « القتل هو الطريقة الوحيدة لتعليمهم النزاهة فى الحكم. يجب أن نقتلهم ، وسنقتلهم عند ما يحل الميعاد »

— « وهل تعتقد حقاً أن القتل ما زال فى هذا العصر الحديث أحسن وسيلة للتهذيب السياسى » ؟

— « نعم ، ففى الشرق الأدنى لم يزل القتل أحسن واسطة. إنه ليس من المؤكد أن ننفذ القتل فى هذه السنة أو التى تليها ولكنك عند ما تعود إلى سورية بعد بضعة أعوام تشهد بعض التبدلات الخطيرة، وربما وجدت بعض الأشخاص الذين تعرفت إليهم هذه المرة قد انتقلوا إلى غير هذا العالم »

لقد تفوه بهذه العبارات القاسية بكل هدوء، مثله فى ذلك مثل البط البرى الذى لا تؤثر الميـاه فى أجنحته عند ما يغطس فى البحيرة . وقد اتضح لى أنه لا يعترف بأية صلة بين الدعوة التى أخذ يبشر بها وبين ما يترتب على تطبيق وسائلها من عواقب مخيفة، فهما فى نظره أمران لا ارتباط بينهما .

مما لا شك فيه أن لشخصية هذا الرجل جاذبية قوية يعترف بهـا أعداؤه أنفسهم . وكانت حقيقته تخفى على الناس بفضل الجاذبية وبفضل طريقته فى الكلام عن أهم معتقداته بلهجة عادية كأنه يشرح أمراً بسيطاً . لقد وخط المشيب رأسه ، ومع ذلك فقد كانت حركاته كحركة الفتيان تدل على قوة العضل ومرونته . إنى صدقت القصص التى رواها لى عن عمله مع لورنس إذ كانا يشتركان فى نسف القُـطُـر العثمانية والتمتع بنشوة الحرب والقتل

يتحلى هذا الرجل بكل الصفات الخيالية التى تجعل فى الثائر العربى فتنة للزائر الأجنبى ، وخصوصاً إذا كان هذا الزائر جاهلاً بما هو مخبوء وراء ذلك السحر الخارجى . إنى لأذكر فى هذه المناسبة العبارة التى قالها رجل بريطانى عقب زيارته لمفتى فلسطين: « يا لها من عيون بريئة ! يا له من وجه صبوح جميل ! » لم تكن عيون مضيفى فى دمشق بريئة ولكنه كان يتغنى بالآداب الاجتماعية التى لقنته إياها المدنية الغربية ، ومع ذلك فان تمدينه الظاهر الذى يتنافى مع ما يخفيه من غرائز أولية ربما كان عائقاً يؤخر إصلاح الشرق أكثر من الوطنية المتطرفة المصحوبة بالنية الحسنة التى يتصف بها فخرى البارودى . ومع أن هذا المضيف قد استنشق الهواء فى جامعات أوربية مختلفة وكان يتنقل بين أثاثه الفخم بكل ثقة واطمئنان فهو لم يتعلم بعد أن القتل لم يعد هو الوسيلة الوحيدة لتعليم السياسيين الأخلاق . إن أمثال هذا الرجل ليعرقلون المساعى الخاصة التى يبذلها المستنيرون من العرب

لقد أدركت عند ختام زيارتى دمشق السبب الذى جعل سورية تخرج هذا العدد الكبير من قادة السياسة فى البلاد العربية، كما أدركت الداعى لاعتبارها ركناً من أركان الحركة العربيـة الحديثة : إن فى العقل السورى لفطنة ، وإن فى أكثر رجال السياسة فى سورية لمضاء فى العزيمة لم ألحظه فى مصر؛ وخيل إلى فى فلسطين أنه موقت يزول بزوال الظروف الحاضرة . إن جميع الصفات التى تميز الخلق العربى بارزة فى شخصية السوريين بكل وضوح وجلاء، ومما لا شك فيه أنهم سيلعبون دوراً رئيسيًّا فى حياة الشرق الأدنى المستقبلة

إن طبيعة السوريين والظروف التى أحاطت بهم جعلت منهم شعباً ثائراً ، ولهذا كان منتظراً أن يعجز الفرنسيون عن إدارة سورية فى جو هادئ . غير أنه لا يمكن اعتبار فرنسا وحدها مسؤولة عن تمرد السوريين وما أنتجه من حركات منذ عام ١٩٢٠، كما أنه ليس من المؤكد أن تنتهى المنازعات الداخلية بعد نيل سورية استقلالها التام عام ١٩٣٩ إذ أن السوريين فى أشد الحاجة إلى كثير من التهذيب السياسى والاعتياد على ضبط النفس ليصونوا البلاد من التفكك الداخلى . إن أمثال الدكتور الكيالى يجب أن يجدوا ويجتهدوا لكى يجعلوا الصداقة الأبدية مع فرنسا التى يدعو إليها المسيو إده فى لبنان بأعلى صوته غير ضرورية لسورية

« يتبع » على حيدر الركابى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

- ٤١ -

رسائل القراء اليه :

المحامي الشاعر الأستاذ ابراهيم . . . شاب له خلق ودين ، وفيه اعتزاز بالعربيـة والاسلام ؛ فهو من ذلك يحب الرافعي وينتصر له ، ويتتبع بشوق وشغف كل ما ينشر من كتب ومقالات . ولكنه مع ذلك يحب العقاد وينتصر له ، ويراه صاحب مذهب في الشعر ورأي في الأدب ، جديراً بأن يتأثر خطاه ويسير على نهجه. وليس عجيبا — فيما أظن — أن يجتمع الرأي لأديب من الأدباء على محبة الرافعي والعقاد في وقت معاً ، كما أنه ليس عجيبا أن يتعادى الرافعي والعقاد أو يتصافيا ما دام لكل منهما في الأدب طريق ومذهب ؛ ولن يمنع ما بينهما من العداوة ، أو من الصفاء ، أن يكون لكل منهما قراؤه المعجبون به ، أو يكون لهما قراء مشتركون يُعجبون بما ينشيء كل منهما في فنون الأدب؛ وإنما العجيب أن يبلغ إعجاب القاريء بالكاتب الذي يؤثره إلى درجة التعصب ؛ فلا يعتبر سواه ، ولا يعترف لغيره أن يكون له مكان بين أهل الأدب ...

على أن شأن صاحبنا المحامي الشاعر الأستاذ ابراهيم مع الرافعي والعقاد يبعث على أشد العجب وأبلغ الدهشة ... إنه يحب الرافعي ويؤثره ، ويعجب به إعجابا يبلغ درجة التعصب ؛ وإنه يحب العقاد كذلك ويعجب به ويتعصب له ... لكل منهما مكانه من نفسه ، مكانٌ لا يتسع إلا له ، ولا يزاحمه فيه خصمه ؛ ولكنه يحبهما معاً ، ويعجب بهما معاً ، ويتعصب لهما معاً !

رأيان يتواثبان ، وشخصان يتناحران ، وإسراف في التعصب لكل منهما على صاحبه ؛ فأين يجد نفسه بين صاحبَيْه اللذين يؤثر كلاً منهما بالحب والاعجاب والاستاذية ؟

صورة طريفة وقعتُ عليها فيما وقعتُ بين رسائل الرافعي !

هذه رسالة من الأستاذ ابراهيم إلى الرافعي يقول فيها (١) :

« سيدي ، إنني أحبك ، وأعجب بك ، وأتعصب لك ؛ ولكن موقفك من العقاد ياسيدي ... ليت شعري لماذا تتخاصمان ؟... لقد كنت على حق ... ولكن العقاد على حق ... هل تأذن لي أن أكون رسول السلام بينكما ؟ »

ثم لا تمضي أيام حتى يعود فيكتب إلى الرافعي رسالته الثانية :

« معذرة ... إنك لتتجنى على العقاد تجنيا ظالما ، فما لك وجه من الحق في عدائه والحملة عليه . لقد عقمت العربية فلم تنجب غير العقاد ... وإنك أنت ... إنك كبير في نفسي ، كبير جداً ، وإني لأقلب تاريخ العربية بين يديّ فلا أجد غير الرافعي ... أنت ... والعقاد ... أين ترى يكون اللقاء ؟ »

وعلى هذا المثال قرأت لصاحبنا المحامي الشاعر بضع رسائل بين ما خلف الرافعي من أوراق ، تملأ النفس عجبا ودهشة . وآخر ما وصل إلى الرافعي من رسائله ، رسالتان ، كتب إحداها في المساء ، وكتب الثانية في صباح اليوم التالي ؛ ولولا خط الكاتب ، ونوع الورق ، وخاتم البريد ، لما حسبتهما إلا رسالتين من شخصين لو أنهما التقيا في الطريق لتضاربا بالأكف ... !

على أن الرافعي مع ذلك كان يرد على رسائله ! ووددت لو ينشر صاحبنا بعض رسائل الرافعي إليه !

* * *

والآنسة الأديبة ف . ز. معلمة في إحدى مدارس الحكومة كان أبوها زميلا للرافعي في محكمة طنطا ، وكان بينهما صلة من الود ، فلما مات لم تنس ابنته صديق أبيها ، فكانت تستعينه في بعض شؤونها ، ومن ثمة نشأت بينهما مودة ، فكانت تراسله ويراسلها ، ومن رسائلها إليه كان له علم جديد في شئون وشئون .

صحبته إلى زيارتها مرة في ليلة من ليالي الشتاء ، مع الصديقين كامل حبيب وسعيد الرافعي ؛ فلقيناها مع بعض صديقاتها ، وكانت جلسة طالت ساعات ، أعتقد أن الرافعي قد أفاد منها بعض معانيه في قصة « القلب المسكين ! »

* * *

(١) ليست الرسائل تحت يدي في اللحظة التي أكتب فيها هذا الفصل، ولكن ما أحكيه بعد هو ترجمتها في نفسي كما قرأتها منذ قريب .

. . . وقد أنشأت هذه الرسائل بين بعض قرائه وبينه صلات عجيبة من الود ؛ فهو منهم أب وصديق ومعلم ومشير ؛ وجالس على « كرسي الاعتراف » فترة غير قصيرة من حياته ، تفتحت فيها عيناه على كثير من حقائق الحياة لايبلغ أن يصل إليها من رحل وطوف . وكان له فى كل دار أذن، وعلى كل باب رقيب عتيد ! ولست بمستطيع أن أفسر سرّ هذه الثقة العجيبة التى ظفر بها الرافعى من قرائه ؛ ولكنى أستطيع أن أجزم بأنه كان أهلا لهذه الثقة ؛ فما أعرف أنه باح بسرٍّ أحد فسماه أو عرَّف به ، وما أطلع على رسائل قرائه أحداً غيرى إلا قليلا من الرسائل كان لايرى بأساً من إطلاع نفر قليل من أصحابه عليها لغرض مما يستجرّه إليه بعض الحديث فى موضوعها ؛ بل إن كثيراً من هذه الرسائل قد أخفاه عنى — وما كان بينى وبينه حجاب أو سرّ — فما عرفت خبرها إلا بعد موته . وبستطيع أصحاب هذه الرسائل أن يطمئنوا إلىّ ؛ فستظل أسرارهم — فى يدى — مصونة عن عيون الفضوليين ، فلن أتناول الحديث عنها إلا من حيث يدعونى الواجب لجلاء بعض الحقائق فى هذا التاريخ .

وكان له مراسلون دائمون . . يجدون الكتابة إليه جزءاً من نظام حياتهم ، فلا تنقطع رسائلهم عنه ، ولا يخفى عليه شىء من تطوّرات حياتهم ، وقد أكسبهم طول العهد بالكتابة إليه شيئاً من الأنس والاطمئنان إليه كما يطمئنون إلى صديق عرفوه وجرَّبوه وعايشوه طائفة من حياتهم ؛ وإن القارىء ليلمح فى هذا النوع من الرسائل الدّورية التى يبعث بها إليه هؤلاء الأصدقاء الغرباء ، مقدار ما أثر الرافعى فى حياتهم منذ بدأتْ صلتهم به ، فتطاورت بهم الحياة تطاورات عجيبة ؛ وأدّى الرافعى إليهم دَينه وأثر فيهم بمقدار ما كان لهم من الأثر فى أدبه وفى حياته الاجتماعية . وإنى لأضرب مثلا لواحدة من هؤلاء الأصدقاء :

فتاة من أسرة كريمة فى دمشق ، نشأت فى بيت عز وغنى وجاه ، وهى كبرى ثلاث نشأن نشأة يفاخرن بها الأتراب؛ ثم تقلبت بهن الحياة فاذا هن بعد الغنى والجاه ناسٌ من الناس . . واضطرت الكبرى أن تخرج إلى الميدان عاملة ناصبة لتعول أسرتها ، وكان لها من ثقافتها وتربيتها مُعينٌ ساعدها دون أختيها فى ميدان الجهاد ؛ وعلى أنها كانت أجمل الثلاث وأولاهن بالاستقرار فى بيت الزوج الكريم فقد سبقتها أختاها إلى الزفاء والبنين والبنات وظلَّتْ هى . . وما كان ذلك لعيب فيها ولكنه سرٌّ لم يلبث أن انكشف لعينيها : لقد كانت هى وحدها ومن دون أختيها التى تستطيع أن تعول أسرتها لأنها عاملة . . . وتألمتْ حين عرفت السرّ ولكنها كتمت آلامها وظلت « صابرة » ، ومضت الأيام متتابعة والأمانىّ تخلف موعدها ؛ وتحركت فيها غريزة الأمومة ولكنها قمتها بارادة وعنف ومضت تصارع الطبيعة وتتحدى القدر بعزيمة لاتلين ؛ ولكنها لم تلبث أن أحسَّت بوادر الهزيمة بعد طول الكفاح فشرعت قلمها لتكتب وكتبت رسالتها الأولى إلى الرافعى بامضاء « الصابرة »

وقرأ الرافعى رسالتها ثم قص علىّ خبرها وتندّت عيناه بالدموع : يالها من فتاة باسلة !

وأجابها الرافعى على رسالتها بتذييل صغير فى حاشية إحدى مقالاته فى الرسالة . . وعادت تكتب إليه وعاد يجيبها وتوالت رسائلها ورسائله وقد كتم اسمها وعنوانها عن كل أحد — وكانت كتبته إليه فى ورقة منفصلة فى إحدى رسائلها لتمزقه وحده إن عناه أن يحتفظ برسائلها — وكان لها الرافعى كما أرادت : أباً وصديقاً ومرشداً ومشيراً ؛ ولم يأبَ عليها فى بعض رسائله أن يتبسط فى الحديث إليها عن قصة «القلب المسكين» لعلها تجد فيما يكتب إليها من شئونه عزاء وتسلية.. وتمزقتْ السكينة عن شىء بشىء، وثاب إليها الاطمئنان والشعور بالرضا. وبدا فى رسائلها لون جديد لم يكن فى رسائلها الأولى. وأخذت تكتب إليه عن كل شىء تحس به أو تراه حولها، وتستشيره فيما جلّ وما هان من شئونها، فى سفرها ، وفى إقامتها ، وفى رياضتها ، وفى عملها ، وفى يقظتها ، وفى أحلامها . . فى كل شىء كانت تكتب إليه ، سائلة ومجيبة ، ومخبرة ومستشيرة ، حتى فى صِلاتها مع صديقاتها وأصدقائها ، وفى الخطَّاب الذين يطرقون بابها يطلبون يدها . . ولم يكن يضنّ عليها بشىء من الرأى أو المشورة . .

وكان للصابرة جزاء ما صبرت ، وتحققت أمانيها على أكمل ما تتحقق أمانى إنسان ، وجاءها العروس الذى لم تكن أحلامها

تتطاول إليه فى منامها ، وبرق فى إصبعها خاتم الخطبة ، فانبهرت منه عيون ! لا أريد أن أذكر من صفات خطيبها حتى لا أعرِّف بها وبه ، وليس من حق أن أكشف ما تريد هى أن يظلّ مستوراً ... لو قلت إن خطيبها كان وزيراً لما بعدْتُ !

واستمرت تكتب للرافعى والرافعى يجيبها ... حتى رسائل خطيبها إليها كانت تبعث بها إلى الرافعى ليشير عليها كيف تجيب، وحتى برنامجها قبل الزفاف وبعده كان بمشورة الرافعى ورأيه ...

وجاءته آخر رسالة منها مؤرخة فى ٣/ ٤/ ١٩٣٧ (نعى الرافعى فى ١٠/ ٥/ ١٩٣٧) تقول فيها :

« الصديق الكريم ...

« ما أحلى دعوتك يا صديقى وما كان أشدها تأثيراً على نفسى ! لقد شعرت وأنا أقرؤها بسرور عميق ، وتركز فى ذهنى أن هذه الدعوة مقبولة ... ما أسعدنى إذا صرت فى المستقبل أما

« أعتقد أنك تعرف تماماً أن حنينى للزواج فيما مضى وتمردى وثورتى على هذه الحياة ، لم تكن إلا لأنى رأيته وسيلة للحصول على الطفل ؛ فقد تنبهت فىّ غريزة الأمومة بشكل هائل ؛ تصور يا أستاذى ، صرت أكره الأطفال لأنى ليس لى بينهم ولد ؛ وكنت إذ أرى أمًّا تعانق طفلها وتضمه إلى صدرها أحس بألم مرير يحز بقلبي ويكاد يقطعه . وكثيراً ما كنت أتشاغل وأشيح بوجهى حتى لا تقع عينى على هذا المنظر . لست حسودة والله ، ولكن شدة إحساسى كانت تجعلنى بهذا الوضع ... أما الآن فأنا مسرورة لأقصى حدود السرور ، وأتمنى لو أنثر الخير والسعادة على الجميع ... ...

« ... والله يعلم أن ليس لى أى غاية مادية من وراء هـذا الزواج ، وليس قصدى منه إلا الحماية والستر ، لأنى مللت ومرض قلبى من فضول الناس ... »

وكانت على نية زيارة مصر لتزور الرافعى مع زوجها ، اعترافاً بحقه عليها ، ولكن القدر لم يمهله حتى يحين الموعد ، وحان أجله قبل أن ينظر بعينيه الفتاة التى تبناها على بعد الدار وشغلته أحزانها بضع سنين ، فلما ابتسم لها القدر وتحققت أحلامها ناداه أجله وما شاركها ابتسامة الفرح وتهانى المسرة ... !

تقول له فى رسالتها المؤرخة ١٥/ ١/ ١٩٣٧ :

« الصديق الكريم ...

« ... ولماذا أخشى هذه المقابلة يا أستاذ ؟ وهل أنت مخيف لهذه الدرجة ... ! على كل حال إذا وجدت ما يرعبنى فسأختبئ وراء (زوجى) ولا بد أنه يحسن الدفاع عنى . لا ، لا ، سألبس درعاً متينة تقينى (شرّ) هذه المغناطيسية القوية ، ولكنى أخاف يا أستاذى أن يكون الحـديد أكثر انجذاباً ، وأكون حينئذ أسأت من حيث أردت الاحسان ... صحيح أنى معجبة ، ولا أزال ، وسأبقى دائماً ، ولكن ألا ترى أن الاعجاب و ... قد يتفقان أحياناً وقد يختلفان ؟ ثم أليس ! ... معان كثيرة وأساليب عديدة ... ؟

« تريد رأيى فى صاحب القلب المسكين ؟ أنت تعرفه جيداً فلماذا تريد إحراجى ... ؟

« الجمال ليس مدار بحثنا ، وليس له أهمية قل أو كثر ، ومع ذلك فصاحب القلب المسكين يتمتع بقسط وافر منه . إسمع ، سأبدى رأيى . لا لا ، ما بدّى أقول ، أستحى ... ! »

وكانت تعرف من أمره مع (فلانة) ما قص عليها فى رسائله وفى رسائلها حديث كثير عنها ، وقد زارتها مرة عن أمره لتنبئه بخبرها ...

وأعتقد أن فى رسائله إليها ما يكشف بعض الغموض فى قصة الرافعى و (فلانة) ويكون فيه برهان إلى براهين لدينا ؛ لحبذا أن تتفضل السيدة الكريمة بالنزول عن حقها فى هذه الرسائل فتهديها إلينا لتتم لنا بهذه الحلقة المفقودة سلسلة التاريخ !

إنها أديبة وعالمة ، وإنها بذلك لتعرف حق التاريخ وحق الأدب عليها فى هذه الرسائل ، ولها علينا ما تشترط فنُوفيه ، فلعل صوتى أن يبلغ إليها فى مأمنها . ضمن الله لها سعادتها وحقق لها ما بقى !

* * *

هذه قصـة فتاة يجد القارىء بين أولها وآخرها أشتاتاً من تاريخ الرافعى ؛ وفيها مثال يبين معنى ما سميته (النقلة الاجتماعية) فى حياة الرافعى بما كان بينه وبين قرائه من صلة الرسائل . على أن هذه القصة بخصوصها كان لها من عناية الرافعى حظ أىّ حظ. وقد كان على أن يكتب ـ بما اجتمع له من فصول هذه القصة ـ

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة السير « هيو والبول »

للأستاذ أحمد فتحى

— ١ —

تنقل إلى القراء فى هذا المقال وما يعقبه سلسلة فصول تنشرها إحدى الصحف الأدبية الكبرى فى لندن ، على أسابيع ، متضمنة جواب استفتاء وجهته إلى تسعة من كبار القصصيين الانجليز ، راجين أن ينتفع شبابنا من عشاق القصة وكتابها بهذه الفصول المترجمة بكل أمانة وإتقان

فى أوائل السنة القادمة : أى بعد بضعة أسابيع ، أرجو أن يُتاح لى الاحتفال بانقضاء ثلاثين سنة على ظهور قصتى الأولى وإن يكن قد مضى على هذا الحادث الهامّ فى تاريخ حياتى كلُّ هذا الزمن الطويل الذى يجعل من العسير أن أستدعى ذكرياته على وجه التحقيق ، فانى أستطيع أن أذكر كلّ شيء بغاية الوضوح !

وحين يسألنى الشبان ، كما يفعلون كثيراً ، من طريقة لفت الجمهور إلى قصصهم الأولى ، وعما صنعت أنا نفسى فى مثل ذلك ، يعود بى خيالى طائراً إلى الوراء ، حتى ليُخَيَّلُ إلى أنه الأمس القريب ، حين عدت إلى بيتى فى « رشلـي » ووجدت ما سيجده القراء مفصَّلاً فى هذا المقال ...

* * *

من المحقق أن القصة الأولى التى أخرجتها لى المطبعة لم تكن أوّلَ أعمالى القصصية . فلقد بدأتُ أعالج كتابة القصة منذ طفولتى المبكرة . ولكننى لم أضع قصتى الناضجة الأولى إلا حين كنتُ فى « ليفربول » ، بعد أن فرغتُ من دراستى فى « كيمبردج »

وبعد ... سفرى إلى « ليفربول » بسبب أن أبى كان يحبُّ لى أن أكون قسيساً ، وأن أتنكّر « لادّعائي » الكتابة ! ولهذا التحقتُ بإحدى البعثات الدينية لرجال البحرية ، وامتطيتُ ظهر السفن لأداء واجبي كرجل من رجال الدين . واتصلت بكثير من النوتيّة المرحين فى أماسى الآحاد السعيدة . غير أنى لم أصادف نجاحاً يُذكر ! بسبب ما كنت أحسُّه من اندماجى مع مشاعر فتيان البحار ، وبسبب أنى لم أكن سعيداً أبداً لايمانى بأنى سأكون « قسيساً » فاشلاً ، مما بث فى نفسى مضاضة وحزناً !

ولقد عاونتنى الأمسية التى كنت أقضيها فى بيتى على كتابة ... من قصتى الأولى ؛ وكان اسمها « الدير » ، وقد ثبت عندى أنها كانت بشيراً بأخرى كتبتها بعد ذلك بأمد اسمها « الكاتدرائية » ، وبعد هذه الفصول السبعة ازدحمت فى ذهنى شخصيات كثيرة من أبطال قصة « الدير » وأخذت تختلط وتختلط حتى فقدت قيمتها ومميزاتها . ولقد علّمنى ذلك شيئاً . والحق أن الفصل الأول من هذه القصة قد احتفظ به ذهنى حتى جعلته « الفصل الأول » فى قصة أخرى كتبتها بعد ذلك باسم « الفضولى » !

ولما أدرك أبى أننى لا يمكن أن أكون قسيساً ، ظن أننى قد أصلح لأكون مدرساً ! ومن ثَمّ وجهنى إلى ألمانيا وفرنسا لأتعلم لغة كلٍّ من البلدين العظيمين . ولكننى لم أتعلم لغة هذه ولاتلك ، وإنما كتبت قصة طويلة كاملة اسمها « تروى ماتون »!

* * *

مقالة بعنوان « الصابرة » جمع لها فيما جمع من نثار الأفكار قدراً غير قليل ، وما أخّره عن كتابتها إلى أن وافاه الأجل إلا انتظار الخاتمة فيما أظن ، وإلا شدة احتفاله بهذا الموضوع . وهكذا نجد أن شدة احتفال الرافعى بموضوع ما يكون سبباً فى تعويقه عن كتابته أو عن تمامه :

كان يحتفل بكتابة « أسرار الاعجاز » فلم يتمه ، وبمقالتى « الزبال الفيلسوف » و « الصابرة » فلم يكتبهما ؛ ولكن التاريخ لم ينس له .

شبرا محمد سعيد العريان

* * *

ظن بعض أصدقاء الآنسة الادبية أمينة . ش أننا نعنيها بقولنا فى الجزء السابق من هذه المقالات : « إن فتاة أديبة من أسيوط كتبت إلى الرافعى تشكو اليه أن أباها يعضلها ويذود الخطاب عن بابه حرصاً على بعض التقاليد »

فنعتذر للآنسة الأديبة من سوء ظن أصدقائها بما كتبنا ، ونؤكد لهؤلاء الأصدقاء أنها غير المعنية منا بهذا القول

ليس في وسع الألفاظ أن تعبر عن كيفية انكبابي على الكتابة ... وبعد أن فرغتُ من هذه القصة كنت شديد الإيمان بأنها من روائع الفن القصصي ! وهذا ما لا أعتقده الآن في شيء من كتبي ! فأرسلت بها إلى دار « آرثر بنسون » للنشر ، فقد كان أحد أصحابها [illegible] في « كيمبردج » ولقد تلقيت منه في « كيمبرلند » كتباً عدة عن هذه القصة ، يقول في أحدها :

« إني لأخشى أن تكون قصتك رديئة ! ولكن هنالك شيئاً واحداً أعتقده تماماً : ذلك أن ليست لك أية مقدرة على الابتكار. قد تصبح ناقداً يوماً من الأيام ؛ ولكن النقد الأدبي لن يكفل لك أكثر من حياة بئيسة ! »

ولقد بلغ من ثقتي بالرجل أني أحرقت قصتي هذه . على أني انتفعت كثيراً من صورها — فيما بعد — في قصة أخرى سميتها « الصبر » ...

والتحقت بعمل جديد ، مدرساً في كلية مدينة « إبسم » ولقد توجهتُ إليها وحيداً ، فقد كانت على مقربة من « لندن » وفيها كنت أرجو أن أبدأ حياتي الأدبية

والحق أني إلى تلك اللحظة لم أتلق كلمة تشجيع واحدة لأعمالي الأدبية من أي إنسان ! . وفي « إبسم » كتبت قصتي الأولى التي أخرجتها المطبعة للناس باسمي . وقد اخترت لها اسم « الحصان الخشبي » وكنت قد أظهرت على نصفها أستاذاً كانت تلوح عليه أمارات الذكاء ؛ ولكنه ردَّ عليَّ أوراقها مع قوله : « لست يا « والبول » قصصياً على أي حال ...! »

ورغم هذا فمهما بلغ من قلة ثقة الناس بي ؛ فلقد كنت وطيد الثقة بنفسي ! ولقد بدا لي عجيباً جداً أن يكونوا جميعاً بهذا العمى ! ولقد أصبحت الآن ، بعد هذه السنين الطويلة ، أعجب لما كان لي من ثقة بالنفس لم يكن يشجع عليها شيء !

واعترض طريق حياتي رجل بادن يقال له « ماسّي » أُبَجِّل الآن وأُحَيِّي روحه المرح لأنه كان أول من تفضل عليَّ بالتقدير . ومع أن تقديره ذاك بدا لي في ذلك الحين طبيعيّاً ، بل حقّاً من حقوقي ، فإني الآن لأعجب لهذا التقدير من الرجل ؛ في أي تربة نَبَتَ ؟!

كان « ماسّي » ضخم الجسم شاحباً غائض دم الوجه . وكان يشرك « كرتس براون » في وكالة أعمال أدبية. وقد أبدى لي رغبته في استخدامي لعمل خاص بتلك الوكالة الأدبية على أن يوظف لي جنيهات قليلة كلّ أسبوع . وبهذا الروح المرح قذفت بعمل التدريس الذي كنت أمقته . واكتريت حجرة أرضية صغيرة في « شلسي » أجرها الأسبوعي ريال واحد ! وهكذا بدأتُ حياتي الأدبية . .

كانت فكرة « ماسّي » أن أضع كتاباً يبحث في طرق توجيه الناشئة . غير أنه لم يكن عنده ، ولا عندي ، رأي ما في الموضوع ! . غير أن الرجل ظلّ يدفع لي المال الذي وعد [illegible] تماماً كاملاً . وهو شديد الثقة بي ؛ وأخشى ألا أكون قد صنعت شيئاً يحقق تلك الثقة العمياء ! !

أكملت قصة « الحصان الخشبي » وكان عليّ بعد ذلك أن أبحث عن ناشر . . وإني لأذكر كيف كتبتُ أسماء كافة الناشرين في « بريطانيا العظمى » على رقعة طويلة من الورق . وكنت أظن حينذاك أني سأبعث بالكتاب إلى كل هؤلاء الناشرين تباعاً ، بعد أن أنتزع عنه اسمي وأضع مكانه اسماً مستعاراً هو « م . س » لأنني كنت قد قرأت الكثير عن العبقريات المبتدئة ، وعلمت أن العبقري الناشيء لابد أن تُردَّ عليه قصته التي تحمل اسمه المستعار — بدلا من اسمه المجهول — مرات كثيرة ، قبل أن يحين يوم حظه السعيد ! وكان أول ناشر وقع عليه اختياري هو « سمث إلدر » . . لأنه كان قد نشر أعمالاً ناجحة كثيرة . وكان يخيل إلي أن كتابي يجب أن تظل آمالي فيه معلقة بهذا الناشر بضعة أسابيع . . !

ولقد كنت في تلك الأيام سعيداً إلى غير حد ، إذ كان يسيراً جداً أن أعيش بمائة وخمسين جنيهاً في العام . كنت طليقاً ، وكان لي أصدقاء في لندن ؛ وإن لم يكونوا بكثرة أصدقاء واحد من رجال الأدب بعد . وإني لأذكر كيف كان يروقني أن أتروض بالسير في « طريق الملك في شلسي » وكيف كنت أقول لنفسي حين أبصر السابلة : « سيأتي يوم يقف فيه هؤلاء الناس وسط

طريقهم ويشيرون إليّ وهم يقولون « هذا هو والبول يمشي هناك ! »

وكان إلى جانب النهر مطعم كنت أستمرىء فيه وجبات طعامى ، وكان الفنانون يجيئون فيحتلون منضدة متوسطة ، وهم يضجون فى مرح . ولقد كنت أشعر بأن جوهم يحتضننى أيضاً . وكثيراً ما كنت أغشي مرقصاً أو داراً للتمثيل ، كما كان ذلك في طاقة نقودى . ولم يكن لى من الرغبات ولا المخاوف شيء فى الحياة ! !

وعدت إلى غرفتى يوماً فوجدت خطاباً من الناشر ، يقول فيه بلغة بالغةٍ حدّ العظمة والكبرياء « إنهم سيطبعون كتابى » ولقد قرأت هذا الخطاب مرات ومرات . ثم أصابتنى حُمى الفرح !. ويستطيع المؤلفون أن يقولوا لك إن سعادة فى الدنيا لا يمكن أن تقاس إلى سعادة المؤلف بقبول الناشر إخراج كتابه الأول ! وفى الحق ، لقد مرت بى إلى ذلك الحين لحظات كثيرة من السعادة ، ولكنها جميعاً لم تكن تعدل سعادتى بذلك الخطاب

ووثبت إلى الطريق والخطاب فى يدى ، وصرحت إلى المطعم المتيد واندسست بين الفنانين الجالسين ؛ ورغم أنى لم أكن أعرف أحداً منهم فقد حدثتهم بما صادفنى من حسن الحظ . فشربوا نخبي ، وبعد الغداء اصطحبونى إلى « استديو » أحدهم ، ومن هذه اللحظة ؛ أحسست أن حياتى الحقيقية قد بدأت !

* * *

بعد ذلك توجهت لزيارة دار « سميث إلدر » للنشر والتأليف يديرها مستر « ريجنالد إلدر » . وإنى لا أتصور الآن أن فى دار من دور النشر مثــل ما كانــ فى غرفته من الفخامة والعظمة والأبهــة ! وقد كان رجلا طويلا له سالفتان من شــعر كثّ تتدليان إلى جانب صدغيه ، كما كانت تبدو عليه الهيبة التى كانت تلازم رجال النشر فى تلك الأيام !

ودعا لى الرجل بالتوفيق ، وبعد ذلك عرّج على حديث سوقىّ ! قال إن الوقت عصيب بالنسبة للناشرين ، ولهذا لم يكن فى وسعه أن يدفع لى شيئاً من المال عن النسخ الثمانمائة الأولى من كتابى .

وبعد بيع هــذا العدد من النسخ يكون لى حق النشر فى ثمن ما يباع . ولم يسترع قوله اهتمامى ، إذ لم يكن يعنينى شيء سوى أننى لن أدفع شيئاً !.

ولقد كان « ريجنالد سميث » رجلا طيبا ، كما يبدو من اسمه . فأخرج « الحصان الخشبى » فى غلاف رائع بالألوان . وبعــد شهرين فقط رأيت فى محل أحد باعة الكتب النسخة الأولى من كتابى . وبعد أسبوع من ظهور الكتاب كنت أجالس مع « المستر تشارلس ماريوت » فى « الكورنول » وهو مؤلف كثير من أحسن القصص التى كتبت عن « الكورنول » قدمت إليه واحدة من النسخ الست الأصلية من « الحصان الخشبى » .

وبعد ستة أشهر أخبرنى الناشر بأن ثمانمائة نسخة من كتابى — بالضبط — قد نفدت . وكنت قد أنفقت ثلاثة جنيهات فى كتابة النسخ الأصلية على الآلة الكاتبة . ولهذا كنت إلى ذلك الحين محتملاً خسارة هذه الجنيهات الثلاثة . ولكن لو لم يكن من الغرور والفخر لذكرت أن الكتاب كان يباع دائما . وأننى تلقيتُ بعد وقت قصير حصتى فى ثمن النسخ التى بيعت ذلك العام

وهنالك شيء أظنه على غير قليل من الطرافة ، هو كيف أننى انقلبت من قصصىٍّ هاوٍ فاشل إلى مؤلف محترف بكل معنى الاحتراف ، وهذا ما لم أفهمه أبدا

وبالرغم من أن قصتى « تَرُوىْ هاتتون » لم تكن قصة مؤلف محترف متمكن على ما أذكر ، وأننى ارتكبت فيها كل الأخطاء الممكنة من حيث الفكرة والأسلوب والبناء ، فان قصتى « الحصان الخشبى » التى كتبتها بعدها مباشرة ؛ كانت أحسن ما كتبتُ من قصص مُجَوَّدة . وقد لا تكون مكتوبة بيد مرنة طويلة الخبرة بدقائق الفن ؛ ولهذا السبب فأن قيمتها الأدبية التافهة لم تكن شيئاً يذكر ؛ ولكن . . . بعد أن تعلمت هذه الدقائق الفنية لم تمد لى هذه التفاهة فى التفكير !

وعلى أى حال فقد مضت سنون سعيدة جداً قبل الحرب ، لم يكن التزاحم فيها بين القصصيين قد بلغ من العنف مابلغه اليوم .

ولم تكن الصحف الكبرى تعنى بنشر روائع الفن القصصى . ولهذا لم يبرز من القصصيين العباقرة سوى أفراد قلائل جدا ، مثل « مريدث » و « هاردى » و « هنرى جيمس » ، فى حين كان معظم كتاب القصة مشغولين بقص حكايات يستمدون أبطالها من شخصيات الحياة العملية بقدر الامكان . ولم تكن هنالك اتجاهات نظرية معينة فى الفن القصصى إلا بقدر محدود ، كما أنه لم يكن هنالك من يعنى بشئ من وسائل الدعوة الخاصة على وجه الاطلاق !

ولقد كان للحياة فى هذه السنين منظر ساحر خلاب بصفة عامة . فاذا أنت كتبت عن شخصية سعيدة ثم اختتمت قصتك ختاماً سعيداً أيضاً ، فانك تكون بذلك فناناً أميناً على الحق فى فنك . وإذا حملت على بعض مظاهر السلوك الخلقى أو السياسى ، فانك بذلك لم تكن قد تورطت فى موضوع ردىء !

تركت « الدر سمث » بعد أن نشرت لى كتابى الثانى ، لأنى كرهت أن أحرم ثمن النسخ الثمانمائة الأولى من كل كتاب من كتبي : وصادقت « مارتن سيكر » ذلك الناشر النبيل الذى كان فى ذلك الوقت يدعى « د . ه . لورنس و كومبتون ماكنزى وفرانك سوئيرتون وفرانسيس برت يونج وجلبرت كانان » وليس فى وسع بيانى أن يعبر عما ندين به للصديق « مارتن سيكر » فلقد كان صديقاً وفياً . يتولى مهمة الناشر فى إخاء ومودة ، وإنه ليسعدنى أن أذكر أنه حينما غامر بنشر قصتى « الصبر » لم يأسف على هذه المغامرة ! !

القاهرة — احمد نجمى

بين الشرق والغرب

لباحث فاضل

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

(ثالثاً): (كذلك لا يعترض علينا بالجانب العلمي من الثقافة الاسلامية لأنها نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليوناني)

انتهى الكاتب إلى أن الجانب العلمي من الثقافة الاسلامية نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليوناني. ولماذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الاسلامي وتعاليمه؟

١ — «الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ...»

٢ — «أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت ...»

٣ — «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون»

٤ — «فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب»

هذه آيات بينات اعتقدها المسلم لا بالسيف ولا بغيره، ولم تدخل في معتقده عن طريق العاطفة والمسايرة بل دخلت عن طريق العقل فقط. ألا ترى أن في كل حرف فيها دعوة صريحة إلى التفكر في مخلوقات الله؟ ولماذا دعاهم إلى هذا التفكر؟ ليعتقدوا بعظمة الله أم يهتدوا بوجوده؟ لاشك بأنه للاهتداء إلى الوجود لأن التعظيم يكون لشيء يعتقد بوجوده وهم لم يعتقدوا بعد بذلك. سمح لهم بالشك في كل شيء والتفكر في كل شيء ودعاهم إلى تحرير عقولهم من قيود العبودية الزمنية. وبعد هذا ألا تعتبر هذه الدعوة أساساً علمياً، لأن استعمال العقل في التفكر في مخلوقات الله هو الأسلوب العلمي بعينه. أفيكون اليونان أصحاب الفضل في ذلك فيأخذ عنهم فلاسفة المسلمين هذا الجانب العلمي أم يكون الدين الاسلامي هو الأصل الأول؟ ألم لا يكون اليونان وفلاسفتهم أصحاب هذا الفضل إلا إذا أخذ القرآن بأساليب الفكر اليوناني أولا إذا اعتبر متكلمة المسلمين وفلاسفتهم فلسفة اليونانيين مصدراً أوليا في معتقدهم وكان القرآن مصدراً ثانوياً، والحقيقة تكذب هذا وذاك. وهم ما استعانوا بالفلسفة اليونانية إلا بعد أن تشربت قلوبهم معتقدهم الديني، وما كانت لهم الفلسفة إلا أداة منطقية لا علمية، والمنطق غير العلم إلا إذا امتزجا (قبل أيام)

(رابعاً): (انتهى متكلمة المسلمين إلى أن العالم حادث وانتهى الغربي إلى أنه قديم)، هذا ما قاله. والمقصود من هذا واضح، وتقرير هذا القول يحمل الناس على تقرير التفاصيل بين العقلية العلمية للغرب وبينها لمتكلمة المسلمين. هذا صحيح لو كان الكلام صحيحاً، ولو عنى متكلمة المسلمين بكلمة حادث ما عناه حضرة الفاضل. فانا نعلم وغيرنا يعلم بأن كلمة (حادث) هنا لا تعني ولا تدل على تاريخ زمن معين كأن يقال كذا آلافاً من السنين، وإنما عنى متكلمة المسلمين بهذه الكلمة أن العالم حادث بالنسبة للخالق، أي أن الخالق قديم بالنسبة لمخلوقاته، فقرروا القدم الذي لا حد له إلى الله وقرروا الحدثية إلى مخلوقاته

(خامساً): وبعد ذلك فمتكلمة المسلمين (انتهوا إلى أن الخالق مطلق التصرف في الكون منفصل عنه ومدبر له، وأنه السبب لكلّ ما يحدُث والعلة الأولى والأخيرة لكلّ ما يكون وسيكون). هذا ما قاله حضرة الفاضل، فهل نفى بهذا القول طبيعة العقل العلمي لهؤلاء المتكلمة؟ أليس الدين الاسلامي المرجع الأول لهؤلاء المتكلمة؟ فلماذا نأخذ الناحية السلبية من هذا القول ولا نقرر بأن الدين الذي اعتمدوا عليه كأساس أولي في مذاهبهم الكلامية قد دعاهم إلى أن يسعوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه وهو الذي دعاهم إلى ألا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة؟ فاذا كانوا قد اعتقدوا تلك الناحية السلبية فقط من قوله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون»، فهل يتناسب هذا الاعتقاد مع حقيقة الواقع وهم إنهم جعلوا للعقل حقه في تقرير مصير صاحبه؟ ثم هل يتفق هذا القول مع كثير من أقوال متكلمة المسلمين كالنظّام والجاحظ وغيرهما في الشك وفي تقديم العقل إلى أبعد حدود التقدير؟

ثم نراه قد منح العقلية الغربية منحة تأباها وقرر لها مذهباً

تنفر منه لأن العقل لا يقره فقال: (انتهى الغربى إلى أن إرادة الله مقيدة بنظام الكون وأفعاله قائمة على عنصر اللزوم والاضطرار).

أى كلام هذا؟ وكلام من هو؟ ومن قال بأن الغربى يعتقد هذا إلا إذا فقد الجانب العلمى من قوى تفكيره؟ للكون سنن ولنظامه نواميس فمن أقرها ومن وضعها؟ أليس هو الله؟ ومن ينكر بأن إرادة الله هى التى تسيطر على هذا الكون؟ أفيكون خالق الشيء مقيداً به وتكون إرادته متعلقة به؟

فاذا كان بقاء هذا النظام الكونى دليلاً على شيء فهو أن إرادة الله لم تتغير وأنه أراد الكون على حاله. فاذا تغير هذا النظام الذى أراده الله اعتقدتم بأن هذا النظام مقيدٌ بإرادة الله إذاً فلتنتظروا

(سادساً): فى نظر الغربى (أن فى قدرة الانسان تغيير القدر له عن طريق معرفة النواميس المحكمة فى وجوده)

أهذا كلام يقال؟ فلا هو منطق ولا هو علم، ولا هو حقيقة ولا هو خيال. رجل لا يعلم ما قُدِّر له فكيف يكون قادراً على تغييره؟ ثم هب بأنه علم ماقدر له كأن أوحى الله له بذلك أفيكون قادراً على تغيير ما أراد الله وتكون إرادة الانسان فوق إرادة الله؟ نحن لانفهم من هذا القول إلا أنه كفر من ناحية دينية وكفر آخر من ناحية عقلية؛ وكفرٌ واحد عظيم فى حدّ ذاته فكيف بالكفرين؟

إذا كانت علوم الغرب دليلاً على عقليتهم فالى أى حد انتهوا فى علومهم؟ كان يقال قديماً بأن مَن بحث فى العلوم الطبيعية ابتعد عن الخالق، واليوم يقال بأن كل من امتهن هذه الصنعة وسلك هذا الطريق فلا شك بأنه يسير بخطى واسعة نحو الخالق إن كان كافراً به

فهؤلاء علماء مادة الحياة كلما عجزوا عن تفهم سر شيء ازدادوا إيماناً بأن قدرة عليا فوق قدرتهم واتفقوا على غير موعد بأن إرادة الخالق قد أخضعت كل النواميس لها، ونحن ما علمنا ليومنا هذا إلا ما أراد الله لنا أن نعلم. أفيذهب بنا الغرور إلى حد تقييد الله بشيء خلقه؟

(سابعاً): (ثم المسيحية هى التى سادت أوربا فى العصور الوسطى فنزعت بها منزع التفكير المعروف) الواقع يقرر عكس هذا؛ إذ ليس فى الدين المسيحى ما يقرر ذلك الجمود فى القوى الفكرية كالذى ساد فى العصور الوسطى

نحن نعلم بأن المسيحية وجدت فى الشرق فكانت سبباً إلى حد كبير فى توجيه منازع التفكير المختلفة من روحية واجتماعية وخلقية فقامت بنصيبها من الأصلاح، وسارت المسيحية بتعاليمها إلى الغرب ذاته وكانت حاله أسوأ حال فهذبت من نفوس أقوامه ما ساعدتها طبيعتهم الخشنة وعقليتهم السميكة. وخنقت المسيحية فى الدير والكنيسة تراث اليونان والرومان وغيرهم فقدمت للتاريخ العلمى خدمة لا تقدر بقيمة. وبعد هذا لم تكن المسيحية ولم تكن روح النسك الشرقية التى جاءت معها سبباً فيما ساد العصور الوسطى من فوضى واضطراب وقصور فى النواحى الثقافية والعلمية. أيتهم الشرق بأنه سبب ذلك ولا يتهم الغرب وأقوامه هم الذين وجهوا تعاليم الديانة المسيحية وجهة مادية؟

ثم ما هى العقلية التى جاءت بصكوك الغفران وما هى الطبيعة التى تقبلت الشرائع القوطية؟ أجاءت مع المسيحية من الشرق أم نبتت فى الغرب ومن بنات أفكار أقوامه، وهذا هو الواقع.

(ثامناً): (فان شارل مارتل أنقذ العقلية الغربية من العقلية الشرقية حين كانت تغزو أوروبا على يد العرب) لو جاء بهذا الكلام أحدٌ من الغرب لعذرناه، فطبيعة الانسان كثيراً ما تغالط نفسها فتنكر الفضل على مستحقه. ولكن أن يأتى هذا الكلام من شرق عربى فهذا مالا يُصدق.

حقيقة صد شارل مارتل تيار العرب، فترى ماذا صد مارتل وماذا منع عن أوروبا؟ أمنع روح النسك؟ والعرب لم يعرفوا بذلك لا فى الشرق ولا فى الغرب؟ أم أنه صد عن أوربا سبعة قرون من ينابيع الفكر والعلم والثقافة؟ وهذا ما أقر به علماء الغرب ومؤرخوهم قبل أن ينكره أحد من الشرق والعرب. سلوا مؤرخى النهضة الأوربية واستقرءوا كتبهم عن أثر الأندلس فى تلك النهضة؛ ألم تكن جامعاتها وحلقاتها قبلة للطلاب من كل ركن فى أوربا؟ فلماذا تأثروا بالعلم ولم يتأثروا بالنسك؟ ألأن العلم أسهل اقتباساً من النسك أو لأن العلم كان لديهم ولم يكن النسك؟

أفيكون مارتل بعد هذا قد أنقذ العقلية الجرمانية وهى كما يعلمها طلبة التاريخ من العقلية الشرقية يأتى بها العرب، أم يكون مارتل قد أنقذ الجهل من العلم قروناً؟

فردريك نيتشـــــه

للأستاذ فليكس فارس

– ٢ –

« إن من الحب ما ينشأ عن الحياة الجسدية حاجة ملحة متقلبة كالحياة نفسها، وفى النساء كما فى الرجال أناس حبهم أشبه بالجوع والظمأ يتهافتون على أية مائدة ويرتوون من أى ينبوع . وماذا عساه يفهم من الحب من يرى المحبوب مائدة وينبوعاً ؟ قلّ من الناس من يدرك أن مَنْ أنكر على المحبوب شخصيته التى لا تستبدل فقد أنكر هو ذاته شخصيته التى يحس بها »

« لا صلاح لأمة فسدت منابت أطفالها ، وهذه عبر التاريخ ماثلة لعيان من يريد أن يرى

أفما كانت كل الأمم التى اندثرت واستبعدت تمر أولا فى مرحلة تدنى الأخلاق وانطلاق الشهوات عابثة بأشرف ما خلق الله فى الانسان ؟ »

« سوف يأتى يوم ، وهو غير بعيد ، تنتبه المدنية فيه إلى أن الرجل المتفوّق الذى ينشده العلماء فى الغرب لن يخلق لهم من التمرن لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص خلايا المتزوجين بالمجهر حتى ولا من تلقيحهم بالمواد الكيماوية أو تطعيمهم بغدد القرود

إن الرجل الكامل أو الأقرب إلى الكمال إنما هو ابن الحب الكامل ، فالمحبة وحدها هى السبيل المؤدى إلى إدراك الحق والقوة والجمال

لتدع العالم المتمدن يفتش فى علومه ونهضة مفكريه عن هذا الحب الذى تخيله ماركس متجلياً فى الحرية التامة للناس فى أهوائهم فجاءت البلشفة تثبت انخداع هذا الفيلسوف فى نظرياته ، ليفتشوا أنهم لن يتصلوا فى تجاربهم إلا إلى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن أبناء هذا الشرق الذى انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمّساً من الخارج ؛ فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق إلينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهذيب ، ولا بجعل البلاد جنة ثراء وتنظيماً تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذى يحمل أسباب شقائه وهو فى بطن أمه لا يمكنه أن يصير رجلا حراً قوياً يفهم حقيقة الحيـاة ويتمتع بالعظمة الكامنة فيها

إن الاهتمام بايجاد الطفل الصالح أولى من العمل لاعداد العلم والتهذيب لطفل نصقل مظاهره صقلا وتتحطم كل محاولة للنفوذ إلى علته المستقرة فيه منذ تكوينه »

« ليس الفقير المتسوّل ، ولا العليل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشّى بلا سند إلى قبره . ليست المرأة المستعبدة بلقمة ولا الفتاة المخدوعة المطارحة على أقذار المواخير ، ليس كل هؤلاء النـاس الأشقياء فى الحياة بأشقى من الأطفال يجور عليهم آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يقذفوا بهم إلى الوجود ويرهقوهم بالقطيعة والاهمال بعد أن يدرجوا عليها بأقدامهم الناحلة المتعثرة ...

الرجل الذى يمسخ حبه الواحد شهوات متعددة، والمرأة التى

(تاسعاً) وأخيراً ، وهذا أبعد ما استبعدنا أن يأتى به الدكتور العـالم وهو أن العـلم يتمون بروح الأمة ، فكتب الرياضيات والطبيعيات وحقائقها فى فرنسا هى غيرها فى ألمانيا، لأن لكل لوناً خاصاً فى الحياة . فالنظرية الآرية تختلف فى كل قطر على هذا الأساس الذى أتى به لأن روح الأمتين مختلفة . ولربما كانت نظرية الحمار فى بلاد الانكليز نظرية الدب فى روسيا لأن روحيهما مختلفان

هذا بعض ما لاحظناه على المقال المذكور ولو كان مجرد رأى لما حاولنا الجدل فيه ، ولـكن الكثير منه يتصل بالأمة العربية والأمم الاسلامية وبعضه يتصل بالحقائق التاريخية

أما الرأى من حيث هو فيما لا يتصل بهذا أو ذاك فميدان المناظرة فيه واسع فسيح رحب ما لم أقصده فى هذا المقام والسلام

(* * *)

التي تتقصف ستهتكة ماسخة هيكل نسمات الله مركباً لنفايات البشر من عبّاد الخيانة والطيش ، إنما هما آدم وحواء مطرودَين من الجنان إلى أرض الجهود الضيّقة والآلام المحتّمة ، ومَنْ يدرى أن حديث معصية الأبوين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التي تنزل اللعنة بمرتكبيها وبأبنائهم من بعدهم ... ويلٌ للرجل الذي يهدم بيديه سعادته وسعادة أبنائه، وويلٌ للمرأة التي تدنس منبت أطفالها !

***

ليس في تمهيد موجز كهذا مجالٌ لبحث فلسفة نيتشه التي شغلت كبار كتاب القرن التاسع عشر ولم يزل الفلاسفة يكتبون عنها إلى اليوم ، غير أن ما تناولناه إلماماً من نظريات نيتشه يكفينا لتحديد ما يجب أن نغفله منها دون أن ننتقص من قدر هذا العبقرى لأنه اقتحم أسرار الكون متعمداً ذاته فعاد عن هذه الأسرار مدحوراً . وهل من كاتب قبله أو بعده تمكن من حل ألغاز الوجود والوقوف منها عند عقيدة صريحة تستغنى عن الايمان بالقوة الخفية المتعالية عن التعليل والتحليل ؟

حَسْبُ نيتشه في موقف حيرته ، وما هي بالدرجة الوضيعة على سلم التفكير، أن يهتك سريرته أمامك دون أن يلجأ إلى إعمال المغلطة لايجاد وحدة ظاهرية وتناسب مزيف في صرح تفكيره ، حسبه أن اندفع وراء المثل الأعلى الكامن في « إرادة القوة » تبعاً لتعبيره وفي نفس الانسان الخالدة تبعاً لعقيدة المؤمنين ، فبسط أمام المفكرين من مشاهد المجتمع ومن مسالك الأرواح على معابر الأرض ما لم يلمحه سواه من المنشئين

إن ما نراها بحاجة إلى الوقوف عنده من فلسفة نيتشه في كتاب زرادشت الذي لم تفته قضية اجتماعية لم يقل فيها كلة كان لها دويها في العالم الغربي ، إنما هو هذه المبادئ التي تجتث ما غرست قرون العبودية في أوطاننا من استكانة حولت إيمانها إلى استسلام في حين أن روح شرعتها يهيب بالنفس إلى الجهادين في سبيل الوطن والانسانية جمعاء

إن الدين الذي يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب ، وما علّم هذا الدين أن الحياة معبر على المؤمن اجتيازه وهو مُعرِضٌ عن كل ما حوله معلق أبصاره على باب قبره . بل علم أنَّ الحياة مرحلة من أشواط الآزال والآباد وما تطهر أنفسٌ لم تحترق أجسادُها ولم تُمهِدْ صلاحاً لباقياتها بإصلاح زائلاتها

ليس نيتشه إذاً مبدع فكرة التكامل الانسان على الأرض فان التكامل مبدأ جعلته الأديان السماوية أساساً لكل وصية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، غير أن الدين قد أراد للانسان تكاملاً روحياً يهيئه إلى إدراك بارئه وراء المحسوس في حين أن نيتشه ، وقد أنكر مالا تقع الحواسُ عليه ، أراد أن يفلت الانسانُ من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنةَ خلدٍ يستوى عليها بجبروته إلهاً . . .

وقد عزب عن هذا الفيلسوف أن المخلوقات كلها في سلسلة الوجود لا تملك الانعتاق من حدود أنواعها، ومهما كرّت القرون وتعاقبت الأجيال لا يمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملكة النبات، ولا للنبات أن يجتاز حدود مملكة الحيوان، ولا للحيوان أن يجتاح مملكة الانسانية .

لذلك كان الذاهب في طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً .

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذي نعلم وعلى ما لا نعلم من حقبٍ كرّت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته .

لقد كان نيتشه من المتقدين باستحالة الأنواع حين صرخ بلسان زرادشت وهو يخاطب الحشد في الساحة العمومية :

« لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى . على أنَّ الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديته »

ولكنه بالرغم من هذا يصرّح بأن هذا النوع القردي وهو الانسان لم ينسلخ من أصله، فكيف زين له خياله أن في هذا النوع إنساناً فائقاً لا يزال كامناً منذ البدء ينتظر قدوم فيلسوف في أواخر القرن التاسع عشر يستجلي هذا الجبار ويبعثه بإرادة جديدة تتسلط لا على الحاضر والمستقبل فحسب بل على ما مر وتوارى أيضاً في عاصفات الأحقاب ؟..

إن بدعة الانسان المتفوق إنما هي في تقديرنا تشوق نفس شعرت بأنها كانت وستكون ، وقد ضرب الالحاد حولها نطاقاً فتوهمت أنها ستبلغ في هذه الحياة ما ليس من هذه الحياة .

إن نيتشه يعلن إلحاده بكل صراحة ويباهي بكفره؛ غير أننا لا نكتم القارىء الكريم أن ما قرأناه بين سطوره ، وقد مررنا بها كمن عليه أن يتفهم كل معنى ويستجلي كل رمز ، يحفزنا إلى القول بأننا لم نر كفراً أقرب إلى الايمان من كفر هذا المفكر الجبار الثائر الذي ينادي بموت الله ثم يراه متجلياً أمامه في كل نفس تخفق بين جوانح الناس من نسمته الخالدة ، فان هذا الملحد ، بالرغم من اعتقاده بأن الجسد هو أصل الذات وأن الروح عرض له وبأن كلا الروح والجسد فانيان ، لا يملك نفسه من الهتاف وهو يؤكد عودة كل شيء واستمرار كل شيء فيقول :

— أواه كيف لا أحن إلى الأبدية وأضطرم سوماً إلى خاتم الزواج ، إلى دائرة الدوائر حيث يصبح الانتهاء ابتداء . إنني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أماً لأبنائي إلا المرأة التي أحبها لأنني أحبك أيتها الأبدية !

إنني أحبك ، أيتها الأبدية

أين هذه الهتفة الرائعة تصدو في أعماق روح تتطير من الزوال من ابتسامة الملحد الصفراء وهو لا يرى وراءه وأمامه إلا العدم والزوال ، بل يكاد يرى وجوده خدعة وخيالاً كاذباً

إن فلسفة لا تستنيم لفكرة الفناء ولا ترى في النهاية إلا عودة إلى بداية ليست بالفلسفة الجاحدة ، فالمفكر المؤمن بانسانية عليا تتدرج إلى الكمال حتى ولو قال بألوهية الانسان على الأرض لا يمكنه إلا أن يؤمن في قرارة نفسه بكمال مطلق تتشوق روحه إليه ما وراء هذا العالم

ولا بد هنا من إيراد تاريخ موجز لحياة هذا الفيلسوف ، وليس في حياته القصيرة وهي مليئة بالآلام من الحوادث ما يستحق التدوين غير المراحل التي مر عليها تفكيره فتأثر بها . وهل نيتشه إلا فكرة وهل حياته إلا وقائع ميادينها السطور والصفحات ؟

ولد هذا العبقري الثائر سنة ١٨٤٤ في بلدة روكن من أعمال ألمانيا وكان أبوه واعظاً بروتستانياً من أسرة بولونية هجرت بلادها في القرن الثامن عشر على أثر اضطهاد شرد منها أشياع كنيسة الاصلاح

وما بلغ فردريك الخامسة من عمره حتى مات أبوه فتكلفت أمه تربيته وتربية أخته فأرسلته إلى مدرسة نومبورغ ثم انتقل منها سنة ١٨٦٤ إلى كليتي بون وليبسيك حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره سنة ١٨٦٩ تجلى نبوغه فعين أستاذاً للفلسفة في كلية بال

بعد سبع سنوات أي سنة ١٨٧٦ ظهرت عليه أعراض « الزهري الوراثي » فحكمه صداع شديد أضعف بصره فبقي يلقي الدروس حتى سنة ١٨٧٩ إذ اضطر إلى الاستعفاء ليذهب متنقلا بين روما وجنوا ونيس وسيل ماريا وهو يعمل الفكر ويكتب مصارعاً علته عشر سنوات ، فلا هو يبرأ منها فيحيا ، ولا هي تجتاح دماغه الجبار فيموت إلى أن جاءته سنة ١٨٨٩ بالفالج مقدمة للجنون فتوارى سنة ١٩٠٠ بعد أن سبقته إلى الموت عبقريته العليلة وإرادته الوثابة الجبارة

« يتبع » فليكس فارس

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنـــــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ٢٥ —

لم يتردد الرئيس في العمل على إبطال قرار فريمونت على الرغم مما بدا له من تحمس الرأي العام له ومظاهرته إياه فيه على نحو ما بينا ؛ ولقد كان من أبرز خلال أبراهام أنه كان لا يعرف التردد أو النكول إذا هو عقد النية على أمر اقتنع بصوابه وا[illegible] إلى نفسه ووثق من مقدرته على الاضطلاع به ؛ وما جرب عليه من عملوا معه أنه صمم قط على رأي ثم انصرف عنه ، ولذلك كانوا إذا عزم أذعنوا طوعاً أو كرهاً فما لهم من ذلك بد ...

وتصرف لنكولن تصرف السياسي الحكيم ، فكتب إلى فريمونت يسأله أن يعدل قراره وأن يظهر للناس كأنما يفعل ذلك من تلقاء نفسه ؛ ولكن فريمونت لم يذعن لذلك وكبر عليه أن يتراجع ؛ فلم ير الرئيس بداً من أن يعلن قراراً عدل به قرار فريمونت غير عابئ بما كان من مخالفة الرأي العام له ولا وجل من تصايح الصائحين من دعاة التحرير ... وبذلك العمل الحازم الحكيم قضى الرئيس على نذير من نذر الفرقة والتنابذ ، وكسب بذلك وقوف ولاية كنتوكي إلى جانبه ...

ولا يحسبن الرئيس كما تقول عليه خصومه ومخالفوه في الرأي من أنصاره ، قد اتخذ بذلك سبيلاً رجعية ؛ كلا ، إنما هي السياسة الحكيمة تقضي عليه ألا يتنكب الطريق التي رسمها منذ شبت الحرب ، ألا وهي جعل المحافظة على الوحدة أساس هذا الصراع القوي ؛ أما مسألة العبيد فما هو بغافل عنها وإنما هو يؤثر الأناة حتى تتهيأ الفرصة ...

هذا ما كان من أمر فريمونت ؛ أما ماكيلان فلقد ظل يدرب جيشه على حدود فرجينيا وهو لا يفتأ يرسل إلى الرئيس ي[illegible] فرقاً جديدة ، ولا يفتأ يتبرم بأي استفهام يأتيه من قبل الرئيس عما هو عسيٌّ أن يفعله ؛ ولقد كان هذا القائد الشاب يكره من الحكومة تدخلها في شؤونه ؛ بل لقد كان يزدري أعضاء مجلس الوزراء ويرميهم بالغباء ، أو كما يقول إنه شاهد أكبر نوع من الأوز في ذلك المجلس

وبلغ به الذهاب بنفسه حداً جعل الناس يظنون به الظنون حتى ليحسبونه يتطلع إلى الرياسة ، فهو ينتظر لا يعمل عملاً حتى تواتيه الفرصة إلى انقلاب يأتي به على غرة ... ولكن الرئيس على الرغم من مسلك ماكيلان يعينه قائداً عاماً للقوات بعد أن يترك سكوت العمل لكبر سنه

ولا يقف صلف ماكيلان عند [illegible] ؛ فلقد ذهب الرئيس مرة إليه يستنبئه عن أمر ، فتركه القائد لحظة ينتظر قبل أن يلقاه؛ وشاع ذلك في الناس، وأشارت إليه الصحف ، وانعقدت الآراء على استنكاره ، ولكن الرئيس لم يعبأ بما حدث ، فما كان هو بالذي تلهيه المسائل الشخصية عما هو فيه ، ولقد رد على ذلك بقوله « إني لأمسك لماكيلان زمام جواده إذا هو جاء لنا بانتصارات » .

ولكن حدث بعد ذلك أن ذهب الرئيس ومعه كبير وزرائه إلى مكان القائد فلم يجداه ، فجلسا ينتظران حتى رجع ؛ وأنبأه بعض الجند بانتظارهما إياه ؛ فصعد إلى غرفته وأرسل إليهما رسالة يأسف فيها لعدم استطاعته أن يراهما لأنه متعب ! واستشاط سيوارد من ذلك غضباً، ولكن الرئيس راح يهون الأمر عليه . . على أنه كف بعدها عن زيارة ذلك القائد المدل بنفسه . .

وقدر على الرئيس فضلاً عن ذلك أن يلاقي العنت من الرأي العام كما يلاقيه من أكابر قواده ، ومن أمثلة ذلك ما كان من موقف الناس إزاء قرار فريمونت فلقد بالغوا يومئذ في إعنات الرئيس وإحراجه . . حتى كان موقف آخر فعادوا إلى غيهم يأخذون على الرئيس مسالك القول والعمل ، وكان ذلك الموقف نتيجة لما أدت إليه الحوادث بين حكومة الاتحاد الشمالي وبين الحكومة الانجليزية . .

كان لنكولن يخشى أن تسوء العلاقات بين حكومته وبين انجلترة ، إذ كانت الأنباء تنذر بذلك ؛ فكثير من رجال الحكومة الانجليزية كانوا يرون أن تعترف حكومتهم بالاتحاد الجنوبي كحكومة مستقلة حتى يتسنى لانجلترة أن تدخل سفنها الموانيء الجنوبية وعلى الأخص موانيء القطن ، دون أن يكون في ذلك

تصادم مع الحصار المضروب عليها من الشماليين . . وأخذت الصحف الأنجليزية تدعو إلى ذلك وتلح فى الدعوة غير عابئة بما ينطوي عليه ذلك من التحدى لأهل الشمال .

واشتد غضب حكومة الاتحاد الشمالى بقدر ماعظم فرح الجنوبيين ، إذ كان كل فريق ينظر باهتمام شديد إلى ماعساه أن يحدث من جانب انجلتره . . وبلغ من استياء سيوارد أنه كتب احتجاجاً إلى الحكومة الأنجليزية ، لم يخفف من حدته ما أدخله عليه الرئيس من تعديل ، فلقد كان يحرص الرئيس أشد الحرص أن يفوت على الجنوبيين ماياملونه من انضمام انجلترة إليهم .

وفى هذا المأزق الحرج يأتى أحد القواد البحريين عملا تزداد به الأمور تحرجا حتى ليحسب الناس أن الحرب واقعة بين انجلترة والولايات المتحدة ما من ذلك بد ...

وبيان ذلك أن القائد البحرى ولكس داهم سفينة انجليزية كانت تحمل رسولين من قبل الولايات الثائرة أحدهما إلى انجلتره والآخر إلى فرنسا أبحرا ليسعيا لدى الحكومتين الانجليزية والفرنسية أن تأخذا بيد الاتحاد الجنوبى . . . وأرغم ولكس الرسولين على النزول فأسرهما على الرغم من احتجاج قائد السفينة الانجليزية

ووصلت الأنباء إلى وشنجطون فراح الناس يعلنون إعجابهم بالقائد ولكس ويثنون على عمله ، وما لبث أن انهالت عليه رسائل الأعجاب والثناء ؛ ولقد أثنى عليه فيمن أثنوا المجلس التشريعى نفسه ، وكثير من الزعماء ورجال الصحافة ؛ وهكذا انحاز الرأي العام إلى جانب ولكس كما انحاز إلى جانب فريمونت من قبل لتزداد بذلك الأمور تعقدا وخطرا ...

أما عن موقع النبأ فى انجلترة فلك أن تتصور مبلغ ما أثار من سخط واستنكار ، فى ظروف كتلك التى نتحدث عنها ، وكذلك كان للنبأ فى فرنسا موقعه الشديد وأثره السيء

اعتبرت انجلترة هـذا العمل من جانب القائد ولكس إهانة موجهة إلى العلم البريطانى الذى كان يخفق فى سارية تلك الجارية التى كانت تحمل الرسولين وقدمت لندن إلى وشنجطون احتجاجها وأنذرتها أن تقابل العدوان بمثله إلا أن تسرع بتقديم الترضية الكافية ، ولن تقنع انجلترة بأقل من إطلاق الرسولين وعدم التعرض لهما ثم الاعتذار عما حدث ...

عندئذ اشتد هياج الولايات ورأت فى إنذار انجلترة إياها معانى الاذلال وسوء النية وقبح استغلال الحوادث ؛ وأصر الناس على المقاومة مهما يكن ثمنها . وأمدت انجلترة حامية كندا وأخذت الولايات تزيد فى قوة ثغورها الشمالية ، وفى الجملة لم يبق إلا إعلان الحرب . على أن بعض العقلاء استطاعوا أن يطيلوا الوقت المحدود للانذار بضعة أيام على أهل الولايات وخصومهم فى انجلترة يرون حلا تحقن به الدماء

وأخذ الوقت يتصرم ولكن أهل الولايات مصرون على موقفهم لايثنيهم عنه شيء ! ورئيسهم ووزراؤه يفكرون فى هذا الخطر الداهم ، وكان سيوارد يميل الى خوض غمار الحرب ضد هؤلاء الانجليز الذين تنطوى قلوبهم على الحقد والحنق منذ خلعت الولايات الأمريكية نير انجلترة فى عزة وإباء

وهكذا يجد لنكولن نفسه فى شدة ما مثلها شدة . . . فهو بين أن يجارى الرأى العام وبذلك يجر على البلاد حربا خارجية طاحنة تأتى مع الحرب الداخلية القائمة فى وقت واحد ، أو يطلق الرسولين ويقضى على أسباب الخلاف بينه وبين انجلترة وبذلك يجنب بلاده خطرا محدقا ، وإن تعرض بعدها للوم اللائمين وسخط الساخطين واتهامات المبطلين . . .

ولكنه لنكولن الذى لا يعرف الخور والذى لا يطيش فى الملمات صوابه . . . إنه الرجل الذى تزداد عزيمته مضاء بقدر ما تزداد الحادثات عنفا وخطرا ، والذى تزداد قناته صلابة كلما ازدادت الخطوب فداحة والأعباء ثقلا واستفحالا . . .

عقد ابراهام مجلس وزرائه وأخذ يناقش الأعضاء ويناقشونه وهو من أول الأمر لا يؤمن بعدالة ما فعله ولكس ؛ وبعد جهد استطاع أن يحمل المجلس على قبول رأيه ثم أعلن بعدها فى شجاعة وحزم اطلاق الرسولين ، وأجاب على إنذار الحكومة الانجليزية برسالة متينة جاءت دليلا قويا على حكمته وبعد نظره ، رسالة احتفظ فيها بكرامة بلاده وعزة قومه ، وجنبها بها فى الوقت نفسه خطرا ما كان أغناها عنه يومئذ

وارتاحت انجلترة لما فعل الرئيس وأثنى رجالها على حنكته وشجاعته ! ولكنه لاقى فى بلاده من السخط والاستياء مالا يقوى على مواجهته غيره ، وأوشكت مكانته فى القلوب أن تتزعزع ، وراح يرتاب فيه المتحمسون ويصفون عمله بالجبن والخور . . . ولكنه فيما بينه وبين نفسه يعتقد أنه أسدى صنيعاً إلى قومه لا يدركه إلا العقلاء ، الذين لا يجعلون فى كل وقت للعواطف

سلطانا على أعمالهم . . . . قال مرة يرد على الساخطين « لقد حاربنا بريطانيا العظمى مرة لأنها فعلت عين ما فعله الكابتن ولكس ؛ فاذا مارأينا انجلترة تحتج على هذا الفعل وتطلب إخلاء سبيل الرسولين فواجبنا هو ألا نخرج على مبادئنا التى ترجع إلى عام ١٨١٢ . . . . يجب أن نطلق هذين السجينين وحسبنا حربا واحدة فى وقت . . . . »

ومضى العملاق بعدها فى سبيله يؤدى للانسانية رسالته ؛ وإننا لنرى هذا الجبار الذى درج من بين الأحراج والأدغال يحمل العبء وحده فى الواقع . . . بل إنه كما ذكرنا ليلاقى مما يفعل كثير من أكابر رجاله أعباء تضاف إلى أعبائه ولكنه معود حمل الأعباء ومواجهة الأنواء

وإنه ليسأل نفسه: ألم يأن لهؤلاء الرجال أن يعملوا كما تطلب الظروف ؛ وماذا على فريمونت لو كان رجع إلى الرئيس، ثم ماذا على ما كايلان لو أنه خفض جناحه وألان جانبه وأخذ الأمور بالشورى . . ؟ ولكن ها هو ذا قائد آخر يفعل مثل مافعل فريمونت، وذلك هو هنتر الذى كانت له القيادة فى كارولينا الجنوبية ؛ وكان هنتر أكثر جرأة من فريمونت أو على الأصح أكثر نزقا فلقد أعلن أن سكان فرجينيا وفلوريدا وكارولينا الجنوبية من العبيد أحرار بعد اليوم إلى الأبد . . . .

ولم يسع الرئيس إلا أن يعجل بنقض هذا القرار فى غير مجاملة أو هوادة ، فلقد كان هنتر خليقا أن يعتبر بما كان من أمر صاحبه فريمونت وكان مما أعلنه الرئيس قوله : « إن حكومة الولايات المتحدة لم تخول للقائد هنتر ولا لأى قائد أو شخص سواه من السلطان ما يعلن معه تحرير العبيد فى أية ولاية من الولايات، وإن هذا الاعلان المزعوم، سواء كان حقيقيا أو زائفا، هو إعلان باطل »

ولا يكاد الرئيس ينتهى من نزق إلا ليواجه نزقا غيره ، فها هو ذا وزير الحربية كامرون يرسل رسالة إلى بعض الضباط شبيهة بما أعلنه فريمونت وصاحبه . . ولولا أن تدارك الرئيس الأمر لأحدثت من سوء الأثر مايصعب بعد علاجه ؛ ولقد أبرق الرئيس إلى مكاتب البريد لترد نسخ تلك الرسالة المطبوعة وحال بذلك دون وصولها إلى وجهاتها . .

ولما أن يئس الرئيس من ما كايلان وقد مضى عليه أكثر من عام وهو لا يعمل أكثر من تدريب جنده ولا ينفك يطلب فرقا جديدة ؛ رأى أن الموقف يقضى عليه أن يدرس فنون الحرب والتعبئة ؛ أليس هو بحكم مركزه القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية ؟ وإذاً فعليه أن يتعلم فن الحرب اليوم كما تعلم مسح الأرض من قبل وتخطيطها وكما تعلم القانون حتى حذقه ، بل وكما تعلم القراءة والكتابة قبل ذلك جميعاً وهو بين مطارح الغابة

شمر الرئيس عن ساعده وراح يدرس ويتعلم لايني ولا يكل ساعات طويلة من النهار وساعات من الليل؛ الخريطة مبسوطة أمامه، ومعلمون من الحربيين يتناوبون العمل معه واحداً بعد الآخر حتى فهم بعض الفهم وأصبح له شيء من الرأى ؛ يالله من هذا العبقرى الجبار الذى يحمل على كتفيه ما كان ينوء بحمله أطلس أو آخيل!

واستطاع الرئيس بعد مدة أن يدلى للقواد برأى فى فنهم، ولكنه كان حذرا يعرض الفكرة ويترك القطع بصحتها للقائد المرسلة إليه. ولقد كتب مرة إلى أحدهم برأيه ثم شدد عليه ألا يتقيد به قائلا إنه يلومه أكبر اللوم إن هو تحيز له أو تردد عن العمل بما تمليه عليه خبرته إذا كان ذلك الرأى لا يتفق وهذه الخبرة...

على أنه يكتب إلى ما كايلان نفسه ذات مرة مشيرا عليه بما يجب أن يعمل ، فى خطة مرسومة على أساس فنى ، ولما رد ما كايلان عليه برفض تلك الخطة لم يقره الرئيس ، وعاد فكتب إليه يسأله أسئلة تدل على فهم دقيق وإلمام شامل ، ويدع له أن يجيب على تلك الأسئلة الفنية إجابة صريحة نزيهة والرئيس مستعد بعدها أن يقره .. ثم نحا بها إلى إخصائيين، فما زال الرئيس يدلى لهم بحججه ويريهم أن خطته أضمن وأسلم من خطة القائد ما كايلان ، ولكنهم آخر الأمر أقروا خطة ما كايلان ، فلم يسع الرئيس إلا أن يذعن وإن كان لا يزال يرى وجاهة آرائه ..

(يتبع) الخفيف

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٧ —

منزلته الشعرية

كان الكميت شاعراً عالماً جمع من الثقافة العلمية مالم يجتمع لشاعر في عصره ، حتى قال بعضهم : كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر : كان خطيب بني أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وثبت الجنان ، وكان كاتبا حسن الخط ، وكان نسابة ، وكان جدليا ، وهو أول من ناظر في التشيع مجاهرا بذلك ، وكان راميا لم يكن في بني أسد أرمى منه ، وكان فارسا ، وكان شجاعا ، وكان سخيا دينا

وقال أبو الفرج الأصبهاني : أخبرني عمي ، قال حدثني محمد بن سعد الكراني ، قال حدثنا أبو عمر العمري عن لقيط ، قال : اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها ، فخالفه حماد في شيء ونازعه ، فقال له الكميت : أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلا الظن ، هذا والله هو اليقين ، فغضب الكميت ثم قال له : لكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أم أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه ، فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه ؟ فاذا قال لا ، أنشده من شعره جزءا جزءا حتى ضجرنا ، ثم قال له الكميت : فاني سائلك عن شيء من الشعر ، فسأله عن قول الشاعر :

طرحوا أصحابهم في ورطة قذفَكَ المقلةَ شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره ، فسأله عن قول الآخر :

تدريننا بالقول حتى كأنما يدرين ولداناً تصيد الرهادنا

فألجم حماد ، فقال له : قد أجلتك إلى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرها ، وسأل الكميت أن يفسرها له ، فقال المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا ، وتوضع في الاناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها ، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء ، والشطر النصيب ، والمعترك الوضع الذي يختصمون فيه في الماء ، فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله (يدريننا) يعني النساء ، أي ختلننا فرميننا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير .

وذكر ياقوت أن ابن عبدة النساب قال : ماعرف النُّسّابُ أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميت النزاريات ، فأظهر بها علماً كثيراً ، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها .

وأخرج ابن عساكر أنه كان يقال : ماجمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ماجمع الكميت ، فمن صحح الكميت نسبه صح ، ومن طعن فيه وهن .

وقال أبو عكرمة الضبي : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ، ولا للبيان لسان .

وقد عني ابن الأعرابي بدرس شعر الكميت ، ولم يكن يعني إلا بالشعراء الفحول الذين يعرفون الأنساب ، أو يمتون بعرق إلى الأساليب الجاهلية ؛ ولم يعن ابن الأعرابي بدرس شعر الكميت فحسب ، بل كان يذكر به من يغفلون عنه حين يعرضون عليه ماعرفوا من معاني الشعراء .

وأخرج أبو عكرمة الضبي عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة يقولون : من لم يرو :

« طَرِبْتُ وماشوقاً إلى البيض أَطْرَبُ »

فليس بهاشمي ، ومن لم يرو :

« ذكر القلبُ إلْفَهُ المهجورا »

فليس بأموي ، ومن لم يرو :

« هلاّ عرفتَ منازلاً بالأبرقِ »

فليس بمهلبي ، ومن لم يرو :

« طَرِبْتَ وهاجَكَ الشوقُ الحثيثُ »

فليس بثقفي .

فهذا كله إلى مانقلناه عن معاذ الهراء يظهر لنا كيف كانت طائفة كبيرة من العلماء والأدباء تتعصب للكميت وشعره إلى هذا

الحد من التعصب ، ومانظن أن نظرهم فى هذا كان يجاوز جانب اللفظ والمعنى فى شعر الكميت ، فلا ينظرون إلى شيء آخر بعدهما يسمو به الشعر أكثر مما يسمو بهما ، ويمتاز به الكميت ابن زيد على شعراء عصره جميعاً .

وكان يوجد إلى جانب هذه الطائفة المتعصبة للكميت طائفة أخرى من الأدباء والشعراء تتعصب عليه وتقدح فى شعره ، ومن هؤلاء المتعصبين عليه بشار بن برد ، وكان يقول : ما كان الكميت شاعراً ، فقيل له كيف وهو يقول :

أنصفُ امرىءٍ منْ نصفِ حيٍّ يسبنى
لعمرى لقد لاقيتُ خطباً من الخطبِ

هنيئاً لكلبٍ أنَّ كلباً تسبنى
وأنى لم أردد جواباً على كلبِ

لقــد بلغتْ كلبٌ بسبىَ حظوةً
كفتها قديعــاتِ الفضائحِ والوصبِ

فقال بشار : لا بَلْ شانئك ، أترى رجلا لو . . . ثلاثين سنة لم يستملح منه شيء ؟

وقد كان مذهب بشار فى الشعر إيثار اللفظ السهل على العويص ، وكان فى هذا قدوة من أتى بعده من الشعراء المولدين ، والكميت يخالفه فى هذا المذهب مخالفة تامة . قال محمد بن أنس الأسدى ، حدثنى محمد بن سهل راوية الكميت ، قال سمعت الكميت يقول : إذا قلت الشعر فجاءنى أمر مستو سهل لم أعبأ به حتى يجيء شيء فيه عويص فأستعمله

ومن هنا يجيءُ تحامل بشار على الكميت . وعندى أنه لا يصح أن يقدح فى الشعر أن تكون ألفاظه سهلة أو عويصة ، فلكل من ذلك مقامه فى طباع الشعراء وتمكنهم من اللغة وغريبها ، وكذلك ما يحيط بالشاعر من ظروف الزمان والمكان وغيرهما

وممن كان يتعصب على الكميت أيضاً رؤبة بن العجاج ، وقد ذكر المبرد عن رؤبة أنه قال : قدمت فارس على أبان بن الوليد البجلى منتجعاً له ، فأتانى رجلان لا أعرفهما فسألانى عن شيء ليس من لغتى فلم أعرفه ، فتغامزا بى ، فتفيت عليهما فهمدا . ثم كانا بعد ذلك يختلفان فيسألان عن الشيء فيكتبانه ويدخلانه فى أشعارهما ، فعلمت أنهما ظريفان ، وسألت عنهما فقيل لى : هما الكميت والطرماح

وكان ذو الرمة يرى فى الكميت ما يراه فيه رؤبة بن العجاج ، وقد أتى الكوفة فلقيه الكميت فقال له : إنى قد عارضتك بقصيدتك ، قال أى القصائد ؟ قال : قولك :

ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ
كأنَّه من كلى مفريةٍ سَربُ

قال : فأى شيء قلت ؟ قال قلت :

هل أنتَ عن طلب الأيفاعِ منقلبُ
أم كيف يحسن من ذى الشَّيبة اللَّعِبُ

حتى أتى عليها ، فقال له : ما أحسن ما قلت ، إلا أنك إذ شبهت الشيء ليس تجيءُ به جيداً كما ينبغى ، ولكنك تقع قريباً ، فلا يقدر إنسان أن يقول أخطأت ولا أصبت ، تقع بين ذلك ، ولم تصف كما وصفت أنا ولا كما شبهت . قال : وتدرى لم ذاك ؟ قال : لا ، قال : لأنك تشبه شيئاً قد رأيته بعينك ، وأنا أشبه ما وصف لى ولم أره بعينى ، قال : صدقت هو ذاك

وليس هذا من رؤبة وذى الرمة إلا تعصباً على الكميت من أجل أنه كان حضريا ، وأنهما كانا بدويين يذهبان فى الشعر مذهب أهل البدو . وقد ذكرنا أن الكميت كان يجمع فى شعره بين أدب الحاضرة والبادية ، فكان من جهة اللفظ والأسلوب كسائر شعراء البادية فى الاسلام والجاهلية ، وكان من جهة الغرض الذى يرى إليه فى شعره حضرياً يذهب فى ذلك مذهباً جديداً يليق بشاعر مثقف يمثل ثقافته ، وهو فى هذا يخالف شعراء عصره إذ كانوا يذهبون فى أغراض الشعر مذهباً بدوياً جاهلياً لا أثر فيه للثقافة الاسلامية ، ولا تتفق غايته مع الغاية التى كان يجب ان تكون غاية الشعر فى هذا العصر

والشعر عندنا كما يوزن بألفاظه ومعانيه يوزن بأغراضه ومقاصده ، فلا يصح أن يكون الشعر الذى له غاية سامية فى الحياة كالشعر الذى لا يراد منه إلا اللهو والعبث ، وليس جد الحياة كهزلها ، ولا حقها كباطلها ، فليكن جد الشعر فوق هزله ، وليكن حقه فوق باطله ، وليكن الكميت فى هاشمياته فوق شعراء عصره جميعاً

عبد المتعال الصعيدى

من أجل فلسطين

وطن يعذب في الجحيم

للأستاذ أحمد محرم

خُلُقُ (العروبةِ) أن تجدّ وتدأبا … وسجيَّةُ (الإسلام) أن يتغلّبا
لا تلكَ تخفض من جناحيها، ولا … هذا يُريدُ سوى التفوّق مطلبا
رفعَ النفوسَ عن الصَّغارِ، وصانها … عن أن تخافَ عدوّه أو ترهبا
دِينُ الفتوّةِ والمروءةِ، ما طغت … لججُ المنـــايا حولَه فتهيّبا
المؤمنونَ على الحوادثِ إخوةٌ … لا يعرفون سوى (الكتابِ) لهم أبا
سَلْهم على شرفِ الأبوّةِ هل رعوا … ما سنّ من أدبِ الحياة وأوجبا؟
بيتٌ تفرّق في البلادِ، وأسرةٌ … صدعَ الزمانُ كيانَها فتشعّبا
وَهَى البناء، فعاثَ في فجَواتِه … عادِي الفساد مُدمّرًا ومُخرّبا
لبّيكَ يا (وطنَ الجهادِ) ومرحبا … لبّيكَ من داعٍ أهابَ وثوّبا
لبّيكَ إذ بلغَ البلاءُ، وإذ أبى … جِدُّ الزّمانِ وصرفِه أن نلعبا
مَنْ ذا يرى دمَـــهُ أعزّ مكانةً … من أن يُخضّبَ من (فلسطين) الرُّبى؟
كَبُرَتْ حين عفا الوفاءُ. وما عفا … في أرضها أثرُ (البُراقِ) ولا خبا
إني أرى (المعراجَ) عند جلالِه … وأرى (النبيّ) وصحبَه والموكبا
وطنٌ يُعذّبُ في الجحيم وأمّةٌ … أعززْ علينا أن تُصابَ وتُنكبا
بقلوبنا الحرّى، وفي أحشائنا … ما شبّ من أشجانِها وتلهّبا
وبنا من الألمِ المبرّحِ ما بها … وأرى الذي نلقى أشدّ وأصعبا
نتجرّعُ البلوى، وندّرِعُ الأسى … نرعى لإخوتنا الذّمامَ الأقربا
إنّا لنعلمُ أنّ آكلَ لحمِهم … سيخوضُ منّا في الدّماء ليشربا
جعلوا الكفاحَ عن العروبةِ حرثَهم … وتعهّدوه، فكان حرثًا طيّبا
يسقون ما زرعوا دمًا في مخصبٍ … لولا الدّمُ الجاري لأصبحَ مُجدبا
(البيتُ) يطرَبُ من أنينِ جريحِهم … أرأيتَ في الدُّنيا أنينًا مطربا؟
إنّ الذي زعمَ السّلامَ مرادَه … جعلَ الدّماء سبيلَه والمركبا
إن كان قد غمرَ الزمانَ وأهلَه … كذبًا، فمن عاداته أن يكذبا
ركِبَ الرياحَ إلى القويّ، يروضُه … شرِسًا، يُقلّبُ نابَه والمخلبا
طارت به، وفؤادُه في روعةٍ … يتلمّسُ المهوَى ويبغي المهربا
أرأيتَ إذ سكبَ الدموعَ غزيرةً … يأبى الحياءُ لمثلها أن يُسكبا؟
متصنّعٌ، باسمِ الضّعيفِ يُريقُها … وهو الذي تركَ الضّعيفَ مُعذّبا
ما كانَ أصدقَ نسْكَه لو أنه … رحِمَ البريءَ، ولم يُحابِ المذنبا
يهذي بذكرِ العدلِ في صلواته … أرأيتَ عدلًا بالدّماء مُخضّبا؟
(رُسُلَ العروبةِ) هل سألتم جُرحَها … ما بالُه استعصى؟ وماذا أعقبا؟

* * *

جُرحٌ تقادمَ عهدُه، وتفتّحت … أفواهُه تدعو الأساةَ الغُيّبا
أنتم أساةُ الجرحِ، فاتخذوا له … من طبّ (شيخ أساتكم) ما جرّبا
وصفَ الدّواءَ لكم، وخلّفَ علمَه … فيكم، فأين يُريدُ منكم من أبى؟
يا قومِ لستم بالضّعافِ فغامِروا … وخذوا مطالبَكم سِراعًا وثُبّا
أفما كفاكم قوّةً من دينكم … ما جمّعَ الإيمانُ فيه وألّبا؟
يا (آلَ يعرُبَ) مَن يُربّي (خالدًا) … يُزجي الخميسَ، ويستحثُّ المِقنبا؟
مَن شاءَ منكم فليكُنْه، ولا يقُل … ذهبَ القديمُ، فإنّه لن يذهبا
السّرُّ باقٍ والزّمانُ مُجدّدٌ … والسّيفُ ما فقدَ المضاءَ ولا نبا
رُدّوا المظالمَ عن محارمِ أمّةٍ … ردّت ظنونَ ذوي الجهالةِ خُيّبا
لم يُعطِ أوطانَ العروبةِ حقّها … من كان يطمعُ أن تُباعَ وتوهبا

أحمد محرم

جحيم

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

أتخافين فى اقترابك منى ... واقترابى مصارع العشاق ؟
أم تخافين أن ترانا عيون الـ ... ـناس فى خلوة وطيب عناق ؟
أم تخافين ألسن الناس تمشى ... فى هوانا بالسوء عند التلاقى ؟
أم تخافين لوم من ليس يرضيـ ... ـه لقائى واللوم مر المذاق ؟
لو سما غيرنا إلى أفق الحبـ ... ـب ولاقوا فى حبهم ما نلاقى
لاستراحوا من التهامز والغمز ... فقرّتْ قلوبهم والمـــآقى
ضللتهم شكوكهم فاستباحوا ... ما استباحوا من الدم المهراق
وبقينا كما ترانا صـــديعين ... على الدهر فى جحيم باق
لم تمنّيْتِنى إذا كنت تخشين ... لقائى وتنكرين اشتياقى ؟
لِمَ جددت باللقاء الأمانى ... ثم عذبتنى بهـــذا الفراق
لِمَ أوريت باللقاء حنينى ... ثم أسلمتنى إلى أشواقى ؟
لِمَ عجّلت فى اللقـــاء بتوديـ ... ـعى فودعتنى بهذا التلاقى ؟
أتسرين بالضرام إذا ما ... شب فى أضلعى وفى أحداقى
أم تسرين بالمدامع تجرى ... إن دمعى دم الفؤاد المراق !
عبثاً أرتجى لقـــاءك ما دمـ ... ـتِ تخافين خلوة المشتاق
عبثاً أرتجى لقاءك ما دمـ ... ـتُ على القرب والنوى فى احتراق

أين عينـــاك

للأديب محمد هاشم الموصلى

يا حبيبي تطاول البعد واربدّ ... ت سمائى بهالكٍ من غمام
أين عيناكَ تقرآن بعينىّ ... ســـطور الشقاء والآلام
وأرى فيهما بريقِ أمانىّ ... فيغفو قلبي على الأحـــلام
أبداً تعترى فؤادىَ ذكرا ... كَ فاهتزّ من أسى وهيام
كلما أوشكتْ تحور إلي البر ... ء جراحي تجدّدتْ بابتسام
يا نجىّ فى وحـدتى وسميرى ... ورُؤى مقلتى وطيف منامى
طف بقلبي كما تطوف الأمانىّ ... وهدهد جرح الغرام الدامي
ثم كفكف مدامعى فعيوني ... ليس ترقا من لوعة وغرام
وارْوِ من مورد الحنان بقايا ... مهجة لم تُرَعْ من الأســقام

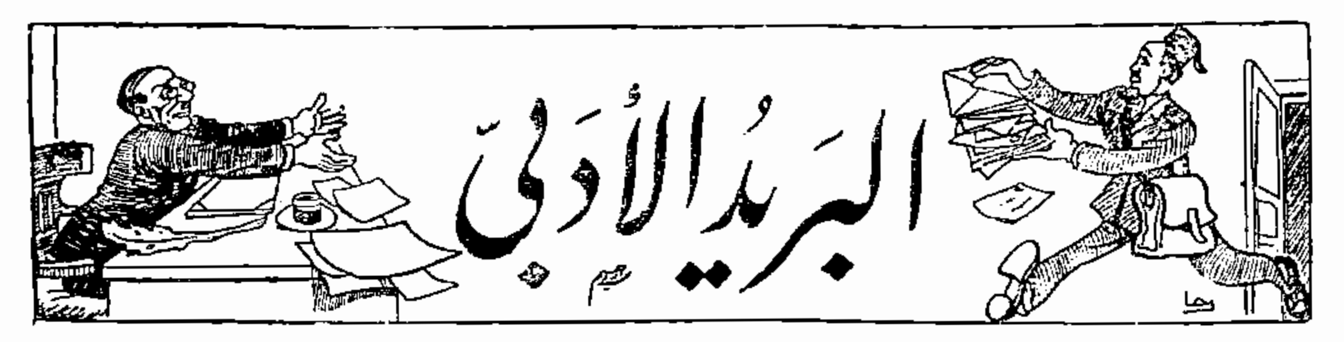
« حمص » — محمد هاشم الموصلى

كيف يعيشون ...؟

للأستاذ رفيق فاخورى

من لى بقلب كالصفاة مُغْلق ... غفلان من سجن الهموم مغلق
خال – كجوف العير – مما ينفع ... ليس له وليس فيـه مطمع
من العلوم والفنون أصفى ... فمـا يحير الدهر منه حرفا
لايعرف الكتْب ولا الدروسا ... أفرغ من فؤاد أم موسى
إمّا يطف به الغبـــاء يعلق ... وإن يلامسه الذكاء يزلق
من لى بمال تالد ما تعبت ... يدٌ بجمعه ولا رجلٌ سعت
أنفقه فى طاعة النفس متى ... شئت ولا أعرف من أين أتى
يسحرنى فى الكيس حسن شكله ... يعجبني فى السوق صدق فعله
أحمد آبائى عليـــه أننا ... أغرف باليدين منه غرفا
ببأسه أطول من يطاول. ... بسيفه أصرع من يصاول
أشرى به جاهاً وعزاً أغلبا ... وسؤدداً فوق السها مطنّبا
ونسباً متصـــلاً بيعرب ... ما خالطته لوثة من أجنبي
لو أن لى هذا الذى وَصَفتُ ... لعشتُ فى قومي كما أردت
سبحان من قد سوّد البهائما ... وخصّ بالمكرمة السوائما

رفيق فاخورى



والله لا يستحي من الحق

قرأ ابن كثير في رواية شبل : « لا يستحي » بياء واحدة ، وهذه تميمية ، كما قال الأخفش ، واستحيا حجازية ، « ووزنه على هذا (يستفع) إلا أن الياء نقلت حركتها إلى الحاء وسكنت ؟ وقيل المحذوف هي العين وهو بعيد » كما قال العكبري ، وفي (الأساس) : « واستحييت منه ، واستحيت ، وأنا أستحي منه » وفي (الصحاح) : « يقال : استحيت بياء واحدة ، أعلوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء » قال سيبويه : « وإنما فعلوا ذلك حيث كثر في كلامهم » وفي (القاموس) : «واستحى منه » وفي (التاج) كلام مستفيض في هذه اللفظة، وفي (اللسان): « واستحيا واستحى حذفوا الأخيرة كراهية التقاء الياءين . الأزهري : للعرب في هذا الحرف (يعني الكلمة) لغتان » واستحيا هي الفصحى ، واستحى فصيحة

(٭٭٭)

جائزة واصف غالي باشا

أرسل واصف بطرس غالي باشا إلى المسيو فرنسوا بياتري رئيس جمعية « فرنسا ومصر » كتابا قال فيه : —

« بمناسبة الذكرى الثالثة لانشاء هذه الجمعية رأيت تنويها بما تبديه فرنسا من الاهتمام الخاص نحو مصر أن أرسل إليكم تحويلا بألف جنيه عسى أن يكون في وسع الجمعية أن تنشيء من إيراد هذا المال جائزة لمكافأة الأعمال الفنية والعلمية والأدبية التي تزيد في إنماء العلاقات والروابط العلمية والأدبية والاقتصادية بين البلدين، أو تنشيء نوعا من المباراة بين الطلبة الفرنسيين والمصريين في موضوعات تتناول عمل فرنسا واشتراكها في أي فرع من فروع الحياة المصرية . وما أوسع مجال هذا العمل منذ الحروب الصليبية إلى الآن . وإني أعرض عليكم هذا الرأي كعضو في الجمعية تاركا لكم حرية العمل كما تشاءون »

ومن المعلوم أن واصف بطرس غالي باشا انتخب منذ حين قريب عضوا في اللجنة الفخرية في هذه الجمعية

مكتبة الأزهر

تحتوي مكتبة الأزهر على أعظم مجموعة من المؤلفات العلمية القيمة بعد مجموعة دار الكتب المصرية . إذ أن فيها الآن نحو ١٦٠ ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون قديمها وحديثها، وأكثر هذه المجلدات من تأليف فحول العلماء في مصر والبلاد الاسلامية الأخرى في العصرين القديم والحديث

ويكاد يزيد المخطوط من المؤلفات في هذه المجموعة النادرة من الكتب على نصفها . فهو لا يقل بحال عن ثمانين ألف مجلد

ويستطيع من يرى تلك المخطوطات في المكتبة الأزهرية أن يلمس ما لها من قيمة، فهي تعطي صورة كاملة للخطوط في مختلف الأمم والعصور الماضية . فهذا أندلسي ، وذاك كوفي ، وذلك فارسي ، وهذه كتابة على رق غزال ، وتلك سطور في رقاع يرجع تاريخها إلى ما قبل قرون وأجيال

وبين الكتب المخطوطة في مكتبة الأزهر كتاب « غريب الحديث » للامام أبي عبد الله القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ وهو مكتوب بخط أبي الخطاب الحسيني بن عمر العابدي ؛ وقد فرغ من كتابته سنة ٣١١ هـ أي قبل بناء الجامع الأزهر بثمانية وأربعين عاما

وقد تشرف جلالة الملك فأبدى اهتماماً خاصاً بهذا الكتاب الذي يكاد يكون أقدم مؤلف مخطوط في بابه ؛ وتكاد النسخة الموجودة منه في الأزهر تكون مقطوعة النظير حتى أن جلالته أوصى بالمحافظة عليه

ويلى هذا الكتاب فى قدم العهد بكتابته مؤلف مخطوط آخر هو « رسالة فى الحاسد والمحسود » ألفها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وكتبها بخطه على بن هلال المتوفى سنة ٤١٢ هـ . أى أن هذه الرسالة قد مات كاتبها منذ ٩٤٤ سنة

وفى المكتبة مجموعة من المصاحف المخطوطة مختلفة الأحجام والخطوط ، ومنها مصحف يرجع تاريخ كتابته إلى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وهو مكتوب بالخط الكوفى على رق غزال من القطع الكبير

ومنها مصحف كتبه على بن أمير حاجب بخطه سنة ٧٢٩ هـ وأتم كتابته فى ستين يوماً ، وهو فى مجلدين كبيرى الحجم ، فى كل منهما نصف القرآن . ويمتاز هذا المصحف الخطى النادر بما فى أوله من إحصاء دقيق بعدد حروف القرآن ، وآياته ، وسوره ورموز القراءة ، والسجدات والسور التى تشتمل على الناسخ والمنسوخ ، وكيفية نزول القرآن ، وجمعه وبيان بعض القراءات

حول تيسير قواعد الإعراب

لقد شاءت الآنسة الفاضلة (أمينة شاكر فهمى) أن ترد على بعد أن نبهتها إلى تلك الأخطاء الظاهرة فى ردها الأول ، ومنها أنها لا تزال تدعى أنى غيرت الاعراب وأبقيت القواعد على ما هى عليه ، مع أنى غيرت القواعد أولا ، ثم غيرت الاعراب ثانياً ، وإنى بعد هذا لا يسعنى إلا أن أختار السكوت فيما بينى وبينها ، والسكوت فى بعض الأحيان قد يكون خير رد

(أزهرى)

دراسة التصوف فى أوربا

يحلو لكثير من المشتغلين بدراسة التصوف الاسلامى أن يقارنوا بينه وبين التصوف فى العصور الوسطى فى أوربة ، وبينهما وبين التصوف الهندي ، وهى بحوث لا تخلو من لذة ، ويزعم بعض المستشرقين أمثال الأستاذ فون كريمر أن التصوف الاسلامى يرجع فى بعض نواحيه إلى النرفانا ، ويماثلونها (بالفناء) عند الصوفية من أهل الاسلام ، وينقض هذا الرأى الأستاذ رينولد نيكلسون — وهو اليوم أعظم المشتغلين بهذه الناحية — ويرى أن الزهد الاسلامى مستقل عن أى تصوف آخر ، ويميل لهذا الرأى الأستاذ ماسينيون وهو أيضاً من أقطاب الباحثين فيه

وعلى الرغم من كثرة الكتب فى هذا الباب ، فان هناك عددا وفيرا لا يزال رهن المخطوطات ، ومبعثرا فى دور كتب أوربا ؛ ومن المشتغلين اليوم بهذا الفرع من الدراسة الأستاذ آرثر حنا أربرى (وكان من قبل أستاذا بكلية الآداب بالجامعة المصرية) فنشر بعض مخطوطات منها كتاب (المواقف والمخاطبات) لمحمد بن عبد الجبار النِّفرى (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) ، وطبعه فى سلسلة جب التذكارية ، وأرفق النص بترجمة له ، ودراسة وافية — بالانجليزية — عن الألفاظ الصوفية التى استعملها المؤلف ، واصطلاحات المتصوفة ومقدمة فى حياة النِّفرى .

وأسلوب النفرى فى غاية العمق ، كما أن كثيرا من عباراته تكاد تكون غامضة مبهمة تتطلب خبرة غير قليلة ودراسة قوية للتصوف ، أما المخاطبات فبينه وبين الحق ، كما فى قوله (أوقفنى فى العلم وقال لى : حجبتك بعلمك فى حجاب من علمك فاعرفنى ، فان لم تخرج من علمك إلى معرفتك فأنت فى حجاب من العلم) وابن عبد الجبار النفرى يتكلم عن ناحية الالهام وعن الذات الالهية ، ومواقفه بين يدى الحق مثل موقف العز والانتقام والخوف ثم تعتريه حالات تطرأ على نفسه فيذكرها

كذلك نشر الأستاذ أربري من قبل فى مصر كتاب التوهم للحارث بن أسد المحاسبي (سنة ٢٤٣ هـ) وهو أشبه مايكون برواية طريفة فى ذكر الجنة والنار ، وكان ابن أسد المحارثى هذا من معاصرى احمد بن حنبل (راجع تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ — ١٢٦) وأسلوب المحاسبي فى هذا الكتاب أميل للناحية الأدبية ، والقطعة التالية منه تبين أسلوب الكتاب ومرمى المؤلف ، يقول « وتوهم حين وقفت بالاضطراب يرعد قلبك ، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك ، فتوهم نفسك عثرة فى أيديهم وتوهم تخطيك المصفرف ، طائر فؤادك ، فتوهم نفسك كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم ، وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه ، « أدن منى يا ابن آدم » فتغشيك فى نوره » وقوله فى موضع آخر حيث الصراط « فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره فغلب على قلبك

النجاة ، وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم الجنان وأنت على الصراط » . .

ويشتغل الأستاذ أربرى هذه الأيام فى إخراج مخطوط آخر للمحاسبي ، وهو يجد لذة فى إخراج أمثال هذه المخطوطات التى ليس من شك فى أنها تلقى ضوءا جديداً على دراسة التصوف ، وتنير السبيل للباحثين فيه .

وهناك من المستشرقين المهتمين بهذه الناحية الأستاذ ميشيل أزين بلاتشيوس الاسبانى ، وهو يعكف منذ أمد بعيد على دراسة التصوف الاسلامي، والفلسفة الاسلامية وخاصة ما كان منها متعلقاً بمسلمى أسبانيا . وقد نشر منذ أمد بعيد رسالة قيمة عن ابن مرة (بالاسبانية) عالج فيها مبادئه وآراءه ، وأفكاره السياسية ، وبسط فيها الفكرة الشيعية التي أثرت عليه فجعلت منه داعياً وفيلسوفاً .

المستشرقون والحياة الشرقية

فى الخامس من شهر سبتمبر الماضى انعقد بمدينة بروكسل مؤتمر المستشرقين ، حيث ألقى فيه الأستاذ (بروجلماون)— وهو من علماء الاستشراق المعروفين بحثاً وافياً عن تطوّر الشعر العربى فى نصف القرن الأخير ، وألمّ فيه ببعض شعراء مصر . واهتمام المستشرقين بدراسة الأدب العربى ليس بالشئ الجديد ، وإن كان — على أية حال — يشير إلى عناية هؤلاء القوم بدراسة الشرق فى نواحى تفكيره المختلفة . وفى عصوره القديمة والحديثة على السواء

ودراسة المستشرقين لأقطاب الفكر العربى دراسة تخلو من كل مغمز ؛ قوامها تحليل ما يكتبه هؤلاء ، وعرض آثارهم الفكرية على العالم الغربى والمهتمين بتتبع الأمور فى بلاد الشرق . ومنذ أمد قريب نشر الأستاذ كراتشوفسكى المستشرق الروسى مقالا عن الأدباء المحدثين فى مصر وسورية ، كما نشر من قبل الأستاذ جب سلسلة من الأبحاث القيمة الدقيقة فى مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، تناول فيها أدباء مصر ومؤلفاتهم ؛ كذلك نشر الأستاذ كمبفماير عدة بحوث عن شاعر العراق المرحوم جميل صدقى الز[illegible] وترجم إلى الألمانية بعض قصائد[illegible] والمتتبعون لما يكتبه الدكتور بروكلمان يرون أنه فى الملاحق التى أضافها لكتابه القيم Jeschichte der Arabischen Litteratur قد تناول كثيرين من أدباء العربية فى مصر والشام والمهجر أمثال العقاد وهيكل والمازنى وطه حسين والزيات ومنصور فهمى وسلامة موسى وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة واليازجى وغيرهم مشيراً خلال ذلك إلى إنتاجهم الفكرى فى الترجمة والتأليف

ولما طبع المرحوم شوقى بك روايته (مجنون ليلى) ترجمها بإذن منه الأستاذ أربرى Arbry وكان إبان ذلك الوقت أستاذاً بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولقد حافظ المترجم فى ترجمته هذه على الروح الأصلية فجاءت آية فى بابها ، ومثالا يحتذى فى دقة الترجمة ، وإدراك المعانى كما تدل على أصالة شعرية وطبع موهوب، ولعل البعض يسأل عن علة اختيار هذه الرواية بالذات؛ والجواب على ذلك أن الأستاذ ممن لهم ولع بدراسة التصوف الاسلامى وفى رواية مجنون ليلى تتجلى روح قل أن تنبه لها إلا القليلون ، تلك هى أن ليلى عاشت عذراء وماتت عذراء طاهرة رغم زواجها

وقصارى القول أن عناية المستشرقين بنقل روائع الأدب العربى الحديث إلى لغاتهم الأوربية أو الكتابية عن أقطاب الفكر فى مصر والشام وغيرهم من المعاصرين لها دلالتها على حيوية الأدب الحديث ، كما أن فيها إطلاع الغرب على النهضة الفكرية فى الشرق

ع . ح



شيء من لا شيء أيضاً

مدت سينما ستوديو مصر عرض فلمها الأول لهذا الموسم (شيء من لا شيء) أسبوعاً آخر، دالة بذلك على أن الاقبال عليه كان عظيما في الأسبوع الأول. وهذا صحيح، فقد أقبل المتفرجون والمتفرجات زرافات ووحدانا ومن كل فج من فجاج القاهرة والضواحي لرؤية باكورة إنتاج ستوديو مصر في هذا الموسم، ومصدر ذلك الاقبال الذي شاهدناه بأعيننا هو أن الجمهور اعتاد من هذا الاستوديو الكبير أفلاماً ممتازة بين زميلاتها المصرية، قوية بالنسبة لغيرها، في الموضوع والاخراج والتمثيل والمونتاج. وقد يجوز لنا أن نعترف لهذا الفلم بأنه حقق الأمل ولكن إلى حد، لأنه وإن كان قوياً في بعض النواحي ضعيف في أكثرها، ولا سيما الفنية منها. وذلك ما نأسف له كثيراً، ونهتم له كثيراً في الوقت عينه. ولهذا كذلك فلا يلمنا لائم إذا نحن عرضنا لتعداد بعض ما في هذا الفلم من عيوب، بعضها ظاهر لاحظه الجمهور كما لاحظناه، وسجله نقاد آخرون كما سجلناه، والبعض الآخر تسنى لنا أن ننفرد بتسجيله حتى يتنبه المسؤولون إليه ويعنوا بتلافيه في الأفلام القادمة

الرواية: خيالية شرقية مقتبسة من ألف ليلة وليلة، وهي في الأصل غنية بالمواقف المؤثرة والمناظر المضحكة والعبارات الرائقة وفي رأينا أنها صالحة لأن يصنع منها سيناريو جيد

السيناريو: كان ضعيفاً مع الأسف الشديد، فليست له وحدة تجلو الموضوع من جهة، و(التقطيع) فيه مقتضب وغير متمش مع أصول القصة من جهة أخرى، وقد كان ذلك مثار دهشة النقاد جميعاً لأن أفلام الاستوديو السابقة كان لها سيناريوات أقوى وأمتن وأدق من هذا السيناريو

الاخراج العام: لعله أحسن ما في هذا الفلم. وهذه شهادة طيبة للأستاذ بدرخان مخرجه، فقد راعى فيه الفن كل المراعاة

تصميم الديكور: لم يكن به عيب، ولكن أغلبه التقط من زوايا غير مناسبة ومجموعة الديكور في (شيء من لا شيء) خير من سائر مجموعات الأستوديو السابقة بلا استثناء.

الملابس: لم نفهم فيها شيئاً، وكانت خليطاً غريباً من ملابس العرب والسلطين والروس والأروام في وقت معاً، ولعل مرجع ذلك أن الرواية خيالية، وتنسيق الملابس كان اجتهادياً

الحوار: كان سخيفاً مع أن واضعه من مشاهير كتاب الحوار. وقد علمنا أنه كان يكتابته سجعاً، وقد بينا أثر السجع على انتباه الجمهور في العدد الماضي فلا داعي لإعادته. ونحن نرجو بشدة ألا يتكرر مثل هذا.

الأغاني: لم يصادفها التوفيق قط، وكان تلحينها (أوبرا) مزيفة، وفي مناسبة الأوبرا ومناسبة الغناء الارتجالي العادي، وكانت فاترة ولاسيما أغاني بطل الفلم عبد الغني السيد الذي سمعنا له مقطوعات في الاذاعة أقرب إلى طبيعة صوته وأدنى إلى الجودة وبراعة التلحين من مقطوعاته بالفلم.

التمثيل: وفق الأبطال المضحكون الثلاثة كل التوفيق في اضحاك الجماهير. ولكنهم فشلوا كممثلين سينمائيين. فقد كانوا يتبعون طريقة المواقف المسرحية الاستعراضية، وكانوا يكثرون من (الفقش والتنكيت) وكان لهم في بعض المواقف (تهريج) غير محمود وإن كنا نظن أنه أعجب كثيراً من الناس. وقد طغى الجانب الفكاهي على الجانب الغنائي، وفشلت نجاة علي وزميلها عبد الغني السيد في أداء دوريهما فشلاً ذريعاً، والمسئول عن ذلك هو المخرج دون سواه؛ ويكفي أن نقول إن وجه عبد الغني السيد لم يكن يعبر عن شيء قط، وكانت حركات فمه أثناء الغناء غير متفقة مع مخارج الكلمات التي ينطقها!

المونتاج : أصيب الفيلم من جرائه بتلف كبير واقتضبت لقطات كثيرة دون سبب ظاهر . مثال ذلك عبد الغني السيد حين عاد إلى غرفة حبيبته من الخارج فوجد بها الأمير عنتر يحاول أن يقبلها ، فقد رأيناه يدخل الغرفة ، ثم رأيناه مباشرة (نازل طحن) في الأمير عنتر ورجاله بسيف من سيوف الشيش لم يعرفه المسلمون دون ريب من قبل هذا الفيلم ! ولولا المونتاج لكان الفيلم أقوى كثيراً مما هو الآن

كلمة أخيرة : ويطول بنا الكلام إذا نحن توسعنا في ذكر سائر العيوب ولذلك نكتفي بما قدمنا ، راجين من حضرات الاخوان الذين يخصهم هذا الكلام من رجال الاستديو أن يطالعن بعناية ، ويجتهدوا في تلافي هذه العيوب في الأفلام القادمة ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله ، ان نريد إلا الاصلاح ما استطعنا وما توفيقنا إلا بالله .

والت دزني

واخيراً !!.

لاشك أن رواد السينما يعرفون رجلا اسمه « والت دزني » يقدم لرواد السينما من وقت لآخر قطعا من الرسوم المتحركة الملونة نالت إعجابهم وتقديرهم لأنها في الحق بلغت الذروة في جمال رسومها وألوانها . . .



مناظر من رواية الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة

استمر والت دزني هذا يعمل ثلاث سنوات في الخفاء أنفق خلالها مليوناً من الجنيهات المصرية وبمساعدة ٥٠٠ فنان أنتج « الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة »

وهي أعظم فلم عرفه العالم في هذا النوع

بهجة الحياة

رأت شركة ر . ك . و . راديو أن تشارك الأمة المصرية أفراحها بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك فقررت عرض رواية « بهجة الحياة » أعظم رواية مضحكة أنتجتها شركات السينما للآن تمثيل إيرين دن و [illegible] فيربنكس الصغير ؛ وهذه الرواية عرضت في لندن ٤ شهور متوالية، وفي نيويورك ٧ شهور وفي باريس ٣ شهور ، وفي روما ٥ شهور !!



إيرين دن في أحد مواقف « بهجة الحياة »

وقد نالت هذه الرواية نجاحا لم يسبق له مثيل في العالم ، ويكفي أن نقول : إنها أضحكت كل مدينة بأسرها حينما عرضت فيها ونالت إيرين دن بعد تمثيلها هذه الرواية لقب أعظم ممثلة مضحكة! أما دوجلاس فيربنكس الصغير فقد أصبح من كبار ممثلي السينما بعد أن أضحك أوربا وأمريكا !

ومن أظرف ما روى عن هذا الفلم أنه حين عرض في نيويورك أغمى على ٣٧ شخصاً من شدة الضحك في الحفلة الأولى ، وكانت هذه أقوى دعاية عرفتها السينما لفلم ما !